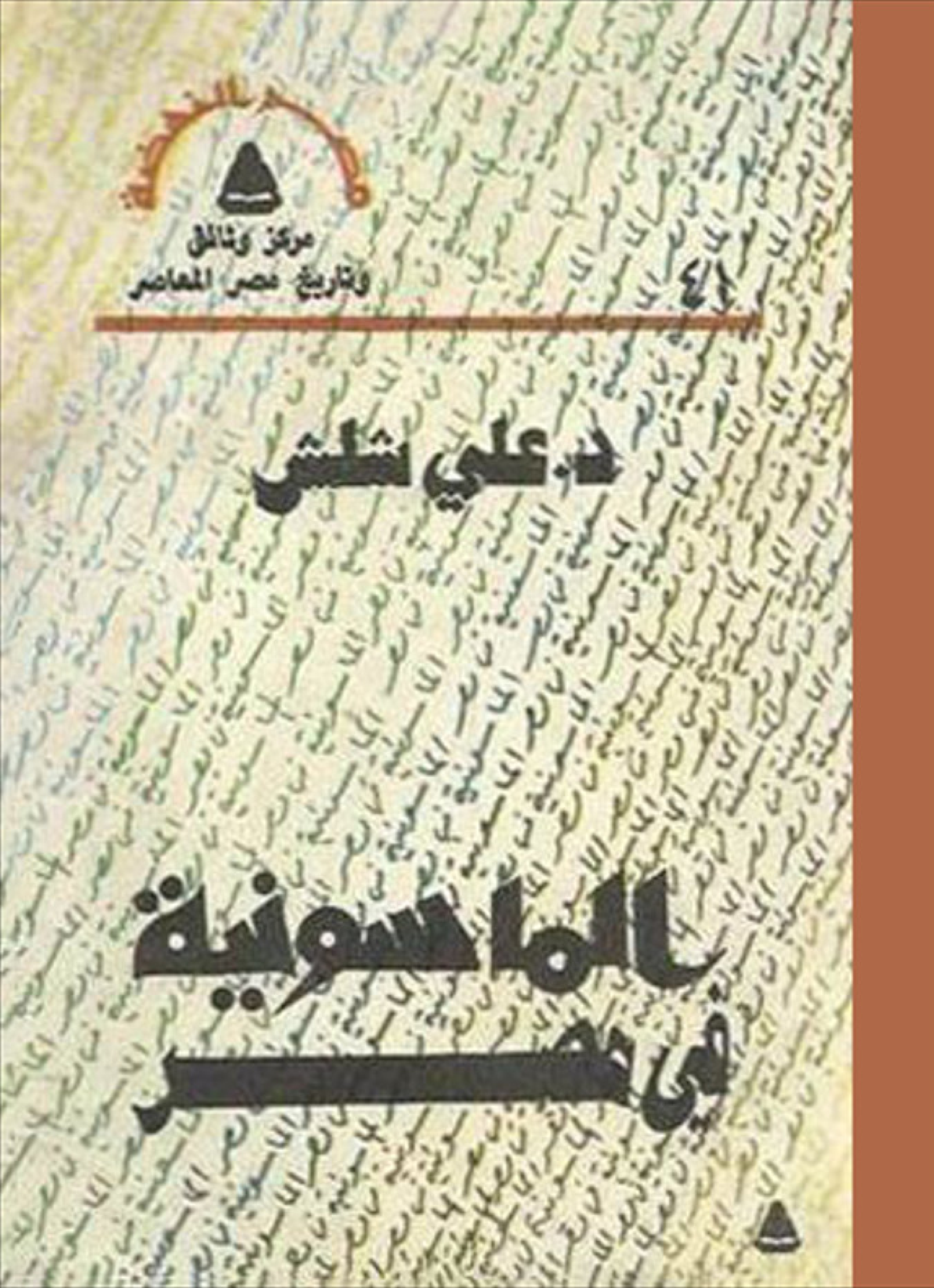


مركز وثائق
وتاريخ مصر المعاصر
٤١
د. علي شلش
الماسونية
في مصر

الماسونية فى مصر

د. علـى شلش



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٣


مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر
مصر
النهضة
إشراف: أ.د. يونان لبيب رزق
مدير التحرير: خلف عبد العظيم الميري

الاخراج الفنى : مراد نسيم

تبقى فى التاريخ المصرى الحديث والمعاصر تساؤلات حائرة تبحث عن اجابات ..

بعض هذه التساؤلات تدور حول بعض الاحداث الغامضة فى هذا التاريخ مثل ما عرف باسم « مذبحة الاسكندرية » فى ١١ يونيو عام ١٨٨٢ والتى مهدت للاحتلال البريطانى للبلاد ، ومثل اشتعال حريق القاهرة فى ٢٦ يناير عام ١٩٥٢ والذى مهد لقيام ثورة يوليو من نفس العام .

بعض هذه التساؤلات حول تاريخ بعض التنظيمات السياسية والتى ظهرت واختفت بشكل يتسم بالغموض ، ويقدم تاريخ الماسونية فى مصر نموذجا لهذا النوع من التساؤلات .

فهناك من نظر الى هذه الحركة باعتبارها حركة ذات طابع استعمارى بل ذهب بعض هؤلاء بعيدا الى حد القول بانها حركة صهيونية .

بالمقابل هناك من نظر الى هذه الحركة باعتبارها احدى

دعائم الحركة الوطنية فى مصر واستشهدوا على ذلك بالعـــلاقة الخاصة بينها وبين السيد جمال الدين الافغانى ابان فترة وجوده فى مصر ·

وليس من شك ان سببا اساسيا من أســـباب هذا الغموض الطابع السرى الذى التحقت به الحركة الماسونية سواء فى داخل مصر او خارجها مما لفها بكثير من اسباب الغموض ، ومما جعل الدراسة فيها اشبه بالملاحة فى بحار مجهولة ·

وتحرص مصر النهضة من بين ما تحرص عليه على نشـــر الأعمال التى يمكن ان تساعد على اجلاء الحقيقة فى هذا الشأن ·

والدكتور على شلش وهو يحاول ان يستجلى الحقيقة حـــول موضوع الماسونية فى مصر فقد سبق له ان اسهم فى هذا المجال فى العدد الواحد والعشرين من مصر النهضة عن « جمعية مصر الفتاة » وهو بذلك احد هواة الملاحة فى البحار المجهولـــة الذين ترحب « مصر النهضة » باكتشافاتهم سواء اتفقت او اختلفت حول ماهية هذه الاكتشافات مما نرجو ان يتاح معه مزيد من الفرص لنشر مزيد من الكشوف التاريخية !

وعلى الله قصد السبيل ، ،

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصـــر

كانت مصر اول بلد عربى تدخله الماسونية قادمة من أوربا ·

ولكن يجب أن نفرق بين الماسونية فى اوربا وأمريكا والماسونية فى غيرها ، ولاسيما في المستعمرات الفرنسية والبريطانية · والسبب فى هذه التفرقة أن الماسونية دخلت المستعمرات فى ظل المستعمرين وعلى أيديهم · ومهما قيل عن خلو اهدافها من أى نشاط سياسى فى البلدان التى نشات فيها أصلا ، ولاسيما بريطانيا ، فقد كان من المستحيل تقريبا أن تخلو من هذا النشاط فى المستعمرات ، معاديا او متعاطفا · ومهما تقنعت فى هذه المستعمرات باقنعة الحريـــة والاخاء والمساواة فهذه الأقنعة تصبح بالضرورة ذات وجهين : وجه مع الأهالى ، اهالى المستعمرة ، ووجه آخر ضدهم ، أو ليس معهم على الأقل ·

كيف اذن ــ ومتى ــ دخلت الماسونية مصر ؟

سنغض النظر عما ذكرته دائرة المعارف الأمريكية من أن بعض المصادر ترجع تاريخ الماسونية الى زمن بناء الأهرامات فى مصر ·

وسنفحص النظر أيضا عما ذكرته دائرة المعارف اليهوديـــة من أن البعض يعتقد ان الماسونية استمدت شعائرها من شعائر بناء هيكل الملك سليمان فى القدس ، ونشأت مع بنائه ، أى ان لليهود ضلعا عريقا فى تأسيسها · وسنفحص النظر مرة أخرى عما ذكرته دائــرة المعارف البريطانية من أن بعض المصادر ترجع شعائر الماسونية الى طائفة الدروز فى الشام · فهذه وغيرها دعاوى أقرب الى التمحك فى التاريخ القديم حتى تظهر الماسونية بمظهر العراقة · والعراقة فى التاريخ لا تكتسب ــ كما نعرف ــ الا بنص أو وثيقة أو مستند ·

ومن الممكن تقسيم تاريخ الماسونية فى مصر ــ على أى حال ــ الى ثلاث مراحل :

١ ــ **مرحلة التأسيس** · وتمتد من غزو مصر على يدى نابليون بونابرت سنة ١٧٩٨ حتى غزوها مرة أخرى على أيدى الانجليز سنة ١٨٨٢ ·

٢ ــ **مرحلة الاستقرار** · وتمتد من الاحتلال الانجليزى حتى اشتعال الحرب بين العرب واليهود فى فلسطين سنة ١٩٤٨ ·

٣ ــ **مرحلة الانقراض** · وتمتد من حرب فلسطين حتى صدور قرار منع الماسونية والغاء محافلها سنة ١٩٦٤ ·

ونظرا لصعوبة البحث فى هذا الموضوع ، واختفاء سجلات المحافل ومحاضر الجلسات ، وألوان التراث الماسونى الأخرى فلا مفر ــ ابتداء ــ من الاعتماد على صحف الفترة ، والكتب والنشرات والدراسات عن الماسونية · وهذا ما طبقناه فى هذا الكتاب الذى يسعى الى القاء الضوء على تاريخ الماسونية فى مصر ·

كان الكتاب فى الأصل جزءا من كتاب أكبر بعنوان « اليهود والماسون فى مصر » ولكننا فصلناه عن أصله ، واضفنا اليه ما استجد من معلومات حول الموضوع ، ونقحنا فصوله بحيث تستوعب العرض التاريخى والملاحق الوثائقية · ونرجو ان يكشف غموض التجربة الماسونية فى مصر ، وان يسد النقص الكائن فى تاريخها ، وان يشجع الباحثين على استكمال البحث فى موضوعها ، وان يجد فيه القارىء معرفة موضوعية بغير تعقيد ·

على شلش

لندن ، ١٩٩١

يلاحظ المتتبع لظاهرة الماسونية أن ماكتب عنها يعد من الغزارة بحيث يصعب حصره فى حيز ضيق ، حتى فى العربية(١) • ولكن هذه الغزارة تكاد تنقسم الى فئتين من الكتابة ، متعارضتين كل التعارض : فئة تمدح واخرى تقدح • وبين الاثنتين يتوه القارىء ، ولا سيما فيما يتعلق بصلة الماسونية بالدين • وهذا ما عبر عنه الكاتب الانجليزى ستيفن نايت بقوله :

« لقد سقط كل ما كتب تقريبا حتى اليوم عن علاقة الماسونية بالدين فى احدى فئتين : فئة الهجوم على الماسونية من جانب اناس غير ماسونيين أو معادين للماسونية ، وفئة الدفاع عن الماسونية من جانب ماسونيين ملتزمين • ولايوجد فى الحقيقة شىء من جانب الأطراف الخارجية المحايدة »(٢) •

ويبدو أن السر فى هذه البلبلة التى تثيرها الكتابة عن الماسونية بوجه عام يرجع الى عنصر السرية فى الماسونية • فالذين ينتمون اليها يحرصون على الدفاع عنها بالطبع لتبرير انتمائهم على الأقل ،

والذين يخرجون عليها يحرصون على مهاجمتها ، لتبرير خروجهم عليها · أما الذين لم ينتموا اليها فلا يمكن أن يتوصلوا الى الحقيقة لأنهم لم يعرفوها من الداخل بحواسهم ، ولايملكون الا الموازنة بين الدفاع والهجوم للتوصل الى نقطة ترضى رغبتهم فى المعرفة · ومع ذلك ، كشف تراث الماسونية عبر القرون الماضية عن الكثير من الوثائق ومظاهر التورط فى السياسة بصفة خاصة · ومن نقطة الموازنة بين الدفاع والهجوم هذه ، وكذلك من الوثائق والدراسات التاريخية سنحاول فهم هذه الظاهرة وأسبابها ، وآثارها ، وانتقالها الى البلاد العربية ، مع التركيز على مصر ، بصفتها أول وأكبر بلد عربى عرف نشاطها ·

ربما يكون من الأنسب أن نبدأ بعرض لنوع معين من الكتابة عن الماسونية يتميز بالتركيز الشديد والاحاطة بالموضوع ، وهو النوع الذى نجده فى دوائر المعارف والموسوعات العامة · وقد اخترنا أربع دوائر من هذه : اثنتان تتمتعان بثقة الكثيرين ، والأخريان جديدتان على هذا الميدان ، ولكنهما تحاولان الاستقلال برؤية معينة للأمور · وتشكل هذه الدوائر أو الموسوعات الأربع ـ فى الوقت نفسه ـ نوعا من التباين فى الرأى ، المطلوب فى مثل هذه الأحوال · كما تعكس فى مجموعها أهم وجهات النظر المعاصرة فى هذا الموضوع بالذات ، سواء اتفقنا أو اختلفنا معها · وهذه الدوائر الأربع بترتيب اختيارنا لها ـ على أساس ترتيب ظهورها فى الانجليزية ـ هى : البريطانية ، الأمريكية ، اليهودية ، السوفيتية ·

يقول محرر مادة « الماسونية » فى دائرة المعارف البرطانية » (طبعة ١٩٨١) ان الماسونية هى التعاليم والممارسات الخاصة بالطريقة الاخوية السرية للبنائين الأحرار والمقبولين (من غير البنائين) · وهى أكبر جمعية سرية فى العالم ، انتشرت بفضل تقدم

الامبراطورية البريطانية ، وظلت اكثر الجمعيات شعبية فى الجزر البريطانية ، وغيرها من بلدان الامبراطورية (سابقا) وقد نشأت من النقابات التى الفها البناؤون عندما تولوا بناء القلاع والكاتدرائيات فى العصور الوسطى • ولما توقف بناء الكاتدرائيات بـدأت بعض محافل البنائين العاملين فى قبول أعضـــاء فخريين لمنع تدهور الاقبال على عضويتها نتيجة توقف عمليات البناء • ومن هذه المحافل نشأت الماسونية الحديثة النظرية او الرمزية • وبدأت بممارســات ورموز النقابات العاملة القديمة ، ولكنها مالبثت ان اتخذت فى القرنين السابع عشر والثامن عشر شعائر وتقاليد الطرق الدينية القديمة والأخوة الفروسية • وفى سنة ١٧١٧ تأسس المحفل الأكبر ، وهو رابطة تجمع جميع المحافل فى انجلترا ، ثم انتقلت فكرة المحفل الأكبر الى البلدان الأخرى •

ويضيف المحرر أن الماسونية واجهت ـ منذ بدايتها تقريبا ـ معارضة شديدة من الأديان المعروفة ، ولاسيما من الكنيسة الكاثوليكية الرومانية • ولم تلبث أن منعت فى الاتحاد السوفيتى والمجر وبولندا وأسبانيا والبرتغال واندونيسيا ومصر وغيرها • ولكن الماســـونية ليست مؤسسة مسيحية كما فهمت خطأ فى كثير من الأحوال • فهى تضم كثيرا من عناصر الأديان وتعاليمها ، وتحض على الاخلاق والاحسان وطاعة قانون البلاد • ويشترط فى طالب عضـــويتها أن يكون ذكرا بالغا مؤمنا بوجود كائن أسمى ومؤمنا أيضـــا بفنـاء الروح • ومع ذلك اتهمت بعض المحافل بالتحيز ضــــد اليهـــود والكاثوليك وغير البيض • وقد اجتذبت فى البلاد اللاتينية المفكرين الأحرار والمعادين للأديان ، على حيث اجتذبت فى بريطانيا وشمال أوربا والبلاد الأنجلو سكسونية كثيرين من البروتستانت البيض(٣) •

وفى موضع آخر يذكر المحرر أن المحافل الماسونية ازدادت فى



ايطاليا فى نهاية القرن الثامن عشر مما ادى الى ازدياد الرغبة فى النقاش السرى لشكلات مختلفة . وحين قامت الثورة الفرنسية فى القرن ذاته لم يؤيدها جميع الماسونيين وكانت لهم مطالب ديمقراطية فى بولونيا وميلانو ونابلى فى ايطاليا ، حيث ازداد عدد المفكرين الأحرار المؤيدين للجمهورية فى فرنسا ، وان كانت الحكومات الايطالية اجمعت على معارضة فرنسا وثورتها . ولكن لم تلبث محافل نابولى ان ايدت الثورة الفرنسية ، ثم بدأت الأنشطة السرية والمؤامرات السياسية فى الظهور حتى راح ضحيتها الكثيرون ، وهاجر بعض اعضاء المحافل الى فرنسا(٤) .

فى موضوع آخر ايضا يقول المحرر ان ظهور الجمعيات السرية ، ولاسيما الماسونية ، ازداد فى بولندا فى الفترة من ١٨١٩ الى ١٨٢٥ بسبب اعتداء الملك اسكندر الأول على الدستور اكثر من مرة . ثم ازداد ظهور هذه الجمعيات فى المدن البولندية الأخرى(٥) . ويقول فى موضع رابع أن الماسونيين فى روسيا شاركوا خلال القرن الثامن عشر فى الانفتاح على العلوم والمعارف ، وتبنوا تيارا اصلاحيا واضحا(٦) .

أما « دائرة المعارف الاميركية » (طبعة ١٩٨٣) فيقول محرر مادة « الماسونية » انها اسم ودى لجمعيات تطوعية من الرجال تستخدم ادوات البنائين كرموز فى تلقين الحقائق الأخلاقية الأساسية التى تؤكد ابوة الله وأخوة البشر . ومن قواعدها الا تدعو احدا للانضمام اليها ، وانما يتقدم الطالب عن طريق عضو عامل . وهدفها الأول ان تخلق رابطة اخوية عالمية بين البشر الخيرين . وهى تعلم اعضاءها الاعتناء بمهاراتهم وتحسينها ، وخدمة الغير وحسن معاملتهم . ومع انها ليست جمعية دينية فهى دينية من حيث ان افكارها تتضمن اسس كثير من الأديان ، فضلا عن أن اجتماعاتها

تبدأ وتنتهى بصلاة . وهى أيضا ليست جمعية سرية كما يزعم البعض أحيانا لأنها لاتخفى وجودها وأهدافها وعملها . وتتوحد محافلها عادة تحت اشراف محفل كبير فى كل بلد أو ولاية أو وحدة سياسية . ولكن لاتوجد سلطة ماسونية مركزية على مستوى العالم أو فى أمريكا أو كندا ، وانما يوجد فى العالم كله نحو خمسة ملايين ماسونى معظمهم فى الولايات المتحدة (٣٫٥ ملايين) وينضم اليها أعضاء من مختلف الأديان والجنسيات . فهى دولية وديموقراطية بالرغم من أنها انتقائية فى عضويتها . وقد انضم اليها ١٤ رئيسا أمريكيا ابتداء من جورج واشنطن الى جيرالد فورد (نسى المحرر اضافة رونالد ريجان) .

ويضيف المحرر أن كثيرين من المشاهير فى العالم انضموا الى الماسونية ، مثل الموسيقار موتسارت ، والممثل جون وين ، والجنرال ماك آرثر والمليونير هنرى فورد . وكان أول كتاب فى العالم الغربى عنها من تأليف بنيامين فرانكلين . ومع أنها دخلت الولايات المتحدة سنة ١٧٢٥ فقد تعرضت سنة ١٧٣٠ لأزمة نتيجة اختفاء أحد العمال فى نيويورك واتهام الماسونيين باخفائه . وبسبب هذه الأزمة تكون حزب معاد للماسونية ، وأغلقت محافل كثيرة ، وانفض كثيرون عن الماسونية حتى هزم الحزب المعارض لها فى انتخابات ١٨٣٢ فخفت حدة العداء ، واستأنفت المحافل نشاطها سنة ١٨٤٠ . ثم ازداد نموها حتى أصبحت اليوم تتصل بمنظمات خاصة للنساء والبنات والأولاد بعد أن كانت قاصرة على الرجال . بل أصبحت تملك مستشفيات ودور رعاية ومؤسسات عيون وبنوك دم ، وتقدم منحا دراسية للطلاب(٧) . (من أبناء الماسونيين بالطبع) .

وأما « دائرة المعارف اليهودية » فيقول محرر مادة « الماسونيون » أنهم أعضاء جمعية سرية نشأت من روابط المهنيين التى كانت تتكون أساسا من البنائين - ومنذ القرن السابع عشر

ظهرت هذه الجمعية كمؤسسة اجتماعية ، واسست مبادئها وكلمات سرها ورموزها وشعائرها التى يعتقد انها مستمدة من شعائر بناء اول معبد فى القدس • وقد بدأت الماسونية الحديثة فى انجلترا سنة ١٧١٧ ثم انتشرت فى القارة الأوربية • وكانت المحافل تعد نفسها مرتبطة باخوة واحدة • فاذا أتاها عضو من أى محفل بشـــهادة عضويته وكان يستحق المساعدة تلقى مساعداتها على الفور • وكانت تسمح بالتحاق اى شخص صادق وشريف من أى ملة عن طريـــق الترشيح والاختيار • وكان دستورها يقضى بأن يلتزم العضو « بذلك الدين الذى يوافق عليه جميع البشـــر محتفظين لأنفسهم بآرائهم الخاصة » كما يقضى بأن يعلن العضو تسامحه الدينى على اساس الاعتقاد بالله والكائن الأسمى • وليس من المعروف ما اذا كان اليهود اثروا فى تشكيل الدستور وصياغة مواده • « ومع ذلك صيغ بطريقة تسمح بعضوية اليهود » • ولذلك تم قبول أحد اليهود سنة ١٧٣٢ فى احد محافل لندن حين طلب الالتحاق • « وظلت ابواب المحافـــل الانجليزية مفتوحة أمام اليهود من ناحية المبدأ بالرغم من وجود تمييز من الناحية العملية » •

يقول المحرر ايضا ان اليهود انضموا الى المحافل الماسونية فى منتصف القرن الثامن عشر ، لا فى انجلترا وحدها وانمـــا فى هولندا وفرنسا والمانيا ايضا • وفى عام ١٧٩٣ اسس يهود لندن محفلا يهوديا اطلقوا عليه اسم « محفل اسرائيل » ومع ذلك اصيب التسامح الماسونى بالضعف نتيجة هجوم القطاعات التقليديـــة من جميع الأديان على الماسونية وتشككها فى نواياها النهائية • فقـــد حرمتها الكنيسة الكاثوليكية ــ ومازالت ــ فى اعلان اصـــدره البابا كليمنت السابع سنة ١٧٣٨ • وشكك فيها البروتستانت واليهود المحافظون • ورد الماسونيون باعتذار حاولوا فيه البرهنة على ان الماسونية ليست مؤسسة معادية للمسيحية ، وانهـــا لاتقبـــل الا

المسيحيين ، أما اليهود والمسلمون والوثنيون فليسوا أهلا لها .
« ومع ذلك لم يحدث أى اعتراض من ناحية المبدأ على طالبى العضوية من اليهود فى انجلترا وهولندا . أما فى فرنسا فقد أوقفت الثورة هذه الاعتراضات . وبذلك أصبحت الماسونية هناك نوعا من الكنيسة العلمانية يشارك فيها اليهود بحرية . فادولف كريميو (المحامى والوزير اليهودى الصهيونى الفرنسى) لم يكن ماسونيا منذ شبابه الباكر وحسب ، بل أصبح فى سنة ١٨٦٩ الأستاذ الأعظم للمحفل الأكبر على الطريقة الاسكتلندية فى باريس » .

ويمضى المحرر اليهودى فيقول ان دخول اليهود المحافـــل الألمانية ظل أمرا مختلفا عليه طوال أجيال ، وانهم ظلوا ينضـــمون للمحافل كلما خرجوا من المانيا فى سفر الى هولندا وانجلترا وفرنسا قبل الثورة ١٧٨٩ . وحين غزا بونابرت المانيا بجيوشه انشأت هذه الجيوش عددا كبيرا من المحافل فى المانيا . بل تأسس فى فرانكفورت محفل يهودى باسم « الفجر الوليد » . واعتمده محفل الشرق الأكبر فى باريس سنة ١٨٠٨ ، مما أحنق بعض المحافل الأخرى فى المانيا ضد اليهود فعدلت دساتيرها من أجل استبعادهم من عضويتها . ثم احتج المثقفون الماسونيون الألمان فى ثلاثينات القرن التاسع عشـــر على استبعاد اليهود ، وساندهم فى ذلك ماســـونيون من هولندا وانجلترا وفرنسا ، بل من نيويورك . وفى سنة ١٨٤٨ سمحت بعض المحافل الالمانية بدخول اليهود كزوار على الأقل . ثم جاءت ثورة ١٨٤٨ فشطبت بعض الفقرات التى تستبعد اليهود فى دساتير المحافل واعترفت المحافل الألمانية بمحفل الماسونيين اليهود فى فرانكفورت .
وظل موقف اليهود بين الشد والجذب حتى هبت ريح العداء للسامية على رايخ بسمارك فاتخذتها المحافل الالمانية سنة ١٨٧٦ سياسة لها نحو اليهود . وظل الصراع قائما بين الطرفين طوال القرن الماضى .

يقول المحرر ايضا فى هذا العرض التاريخى ان اليهود والماسونيين اتهموا فى المانيا خلال ستينات القرن الماضى بتخريب المجتمع التقليدى وتدميره · ثم انتقل هذا العداء الى فرنسا فظهرت كتب كثيرة تؤكد « الخطر اليهودى الماسونى » ولعبت فكرة التعاون السرى بين اليهود والماسون دورا مشبوهـا فى قضـيـة دريفوس (الضابط اليهودى الفرنسى الذى اتهم بالخيانة فى الحرب مع المانيا سنة ١٨٧٠) واصبحت احدى بدهيات العداء للسامية · كما تضمن كتاب « بروتوكولات حكماء صهيون » ــ الذى نشر فى روسيا لأول مرة سنة ١٩٠٤ ــ فكرة مؤامرة يهودية ماسونية للسيطرة على العالم · وكانت الماسونية فى المانيا حتى ذلك التاريخ تعد عند معظم الدوائر جمعية محافظة ومعادية للسامية الى حد ما · فلما ترجمت البروتوكولات الى الالمانية والانجليزية فى عشرينات هذا القرن عد اليهود والماسونيون عملاء سريين تسببوا فى اشتعال الحرب الأولى وهزيمة المانيا · واصبح شعار « اليهود والماسون » صيحة حرب عند اليمين الألمانى ، استغلها هتلر فى صعوده الى السلطة · وخلال الحرب الثانية اضطهد النازيون الشيوعيين والماسـون واليهود معـا ·

وينتقل المحرر بعد ذلك الى الولايات المتحدة الاميركية فيقول « ان الأسماء اليهودية تظهر فى قوائم مؤسسى الماسونية فى اميركا، والحق أن اليهود هم فى الغالب اول من ادخل الحركة هناك » · ويضرب امثلة عديدة على ذلك(٨) · من بينها مثال موسى مايكل ميز الذى ادخل الطريقة الاسكتلندية الى الولايات المتحدة ، وعين سنة ١٧٦٨ نائب مفتش عام على الماسونية فى اميركا الشـمالية كلها ، ونظم محفل الملك داود فى نيويورك ثم نقله الى نيوبورت سنة ١٧٨٠ ، ثم شغل درجة البناء الأكبر للمحفل الأكبر فى ماساتشوستش من

١٧٨٨ الى ١٧٩٢ · وقد بلغ من ايمان اليهود بالماسونية فى ذلك الوقت انهم استخدموا شعائرها فى الاحتفال بوضع حجر الأساس للمعبد الجديد الذى أقاموه سنة ١٧٩٣ بمدينة تشارلستون فى ولاية ساوث كارولينا · اما مابعد ذلك فلا يظهر لليهود اثر كبير كهذا فى أميركا · ولكنهم حملوا المحفل الاكبر فى نيويورك سنة ١٨٤٣ على توجيه رسالة الى المحفل الأم فى برلين بالشكوى من رفض المحافل الألمانية قبول اليهود المسجلين فى المحفل الاميركى بسبب يهوديتهم · وقد ظلت الماسونية الأميركية على ولاء لمبدأ العلمانية فى شئون الدين ولم يحدث أن استبعدت اليهود فى يوم من الأيام · بل ان طابع السرية والشعائر والملابس الخاصة الذى ميز محفل بناى بريت فى سنواته الأولى كان يعكس تأثير الممارسات الماسونية عند اليهود ، ورغبتهم فى تقديم بديل ماسونى داخل الجماعة اليهودية هناك ·

يختتم المحرر هذا العرض الذى استطردنا فيه معه لجدة معلوماته على الموسوعات السابقة ، فيتحدث عن الماسونية فى اسرائيل · ويقول ان القدس تعد عند الماسونيين مسقط رأس الماسونية منذ اقامة معبد الملك سليمان ، ولكن المحافل لم تعرف هناك الا فى منتصف القرن الماضى · فقد تأسست خلال الحكم العثمانى ستة محافل فى فلسطين كان أولها فى القدس فى مايو ١٨٧٣ على شريعة المحفل الأكبر فى كندا · ثم ازداد عدد المحافل مع الزمن حتى تشكل المحفل الأكبر المتحد سنة ١٩٥٣ من جميع المحافل العاملة التى بلغ عددها ٦٤ محفلا سنة ١٩٧٠ · وتضم هذه المحافل ٣٥٠٠ عضو عامل من اليهود والمسلمين والمسيحيين والدروز(٩) ·

وأخيرا نصل الى « دائرة المعارف السوفيتية الكبرى » (طبعة ١٩٧٧) · وفيها يقول محرر مادة « الماسونية » انها حركة دينية وخلقية تدعو الى وحدة البشر على أساس الاخاء والحب والمساواة

والعون المشترك · وعلى هذا الأساس من افكار البورجوازية دخلتها عناصر صـــوفية · ثم ينقل المحرر عن الواعظ اللندنى الماسونى جيمس اندرسن فى كتابه « الدساتير » (صدر سنة ١٧٢٣) قوله : « ان الماسونى كان يلقن الا يكون كافرا غبيا ، والا يكون مفكرا حرا غير متدين » ، وان يحترم السلطات المدنية والا يشترك فى الحركات السياسية · ولأن الماسونيين رفضوا المعتقدات الكنسية الجامدة فهم يحترمون الله كمهندس أعظم للكون ، ويتسامحون مع أى دين ، ويخاطب بعضهم بعضا بكلمة « الأخ » · ولهم درجات اساسية فى المحافل مثل : التلميذ او الطالب او المريد او الصبى ، زميل الصنعة او الشريك ، الأستاذ او البناء او « الأسطى » ، الأستاذ الأكبر او « كبير الاسطوات » اذا شئنا كلمة عامية أخرى · كما انهم يستخدمون ادوات البناء الرمزية مثل القدوم والفرجار والبوصلة والمرولة والقفاقيز ·

ويضيف المحرر أن الماسونية كانت تهدف الى توحيد العالم فى اتحاد أخوى دينى ، ثم اتخذت طابعا ارستوقـــراطيا فى أوربا ، وازداد الحاحها على الصوفية بدلا من العقلانية · ولكن دورها ونشاطها يختلفان من بلد الى بلد ومن عصر الى عصـــــر · وكان انصارها يضمون ملوك بروسيا (فردريك الثانى والثالث) وانجلترا (جورج الرابع وادوارد السابع والثامن) والســـويد (جوستاف الثالث) ، فضلا عن رؤساء الولايات المتحدة مثل واشنطن وترومان ، والساسة مثل تشرشل ، والفلاسفة والأدباء مثـــل فولتير وفختـــه (الألمانى) وجوته وتورجنيف ، والفنانين مثل موتسارت وهايدن · وقد حاول انصارها فى ايطاليا وبولندا ، منذ مطالع القرن الماضى ان ينقلوا نشـــاطها الى السياسة والتآمر بعد فترة كان البابوات قد اصدروا خلالها عددا من المنشورات التى تدين الماسونية وترمـــى اعضاءها بالالحاد ·

يقول المحرر أيضا ان روسيا لم تعرف المحافل الماسونية قبل ثلاثينات القرن الثامن عشر . ومع ذلك قامت هذه المحافل بدور بارز فى المعارضة السياسية ، واستقطبت كثيرا من المثقفين ، وتفاوت فكر أصحابها بين الثورية والاصلاح والمحافظة ، حتى منعت فى روسيا كلها سنة ١٧٩٢ عند قيام الثورة الفرنسية (١٧٨٩) ثم عادت الى الظهور فى عهد القيصر اسكندر الأول ، ولكن تحت رقابة الحكومة . ومع ذلك لم تكف عن التآمر وتشجيع حركة « الديسمبريين » المعارضين للقيصر . ثم انفصل عنها أصحاب هذه الحركة فى بداية عشرينات القرن الماضى ، وتعرضت للمنع مرة أخرى سنة ١٨٢٢ . وبرغم عودتها ـ حتى منعها نهائيا بعد ثورة ١٩١٧ ـ لم تلعب دورا يذكر فى تاريخ الفكر الروسى(١٠) .

ماذا نستخلص من هذا العرض الموجز الذى حاولنا فيه تفادى تكرار المعلومات المحتمل فى مثل هذه الحالة ؟

يمكن أن نستخلص أمورا كثيرة فى الحقيقة ، ولكننا نجمل هذا الكثير فى نقاط محددة أهمها مايلى :

١ ـ نشأت الماسونية فى انجلترا متأثرة بالشكل التنظيمى لنقابات البنائين . ويلاحظ أن هذا الشكل التنظيمى ذاته لم يكن قاصرا على انجلترا أو أوربا ، وانما كان معروفا فى الشرق . فقد كانت الحرف فى مصر خلال العصور الوسطى وحتى القرن الحالى ـ على سبيل المثال ـ تنظم فى أشكال وأوعية تنظيمية شبه مغلقة . وكان لكل حرفة كبير أو شيخ يتبعه « أسطوات » وصبيان أو مساعدون ، ينتمون اليه عادة بصلة القرابة ، حفاظا على سر المهنة من الضياع . وهكذا انتفعت الماسونية بما كان معروفا عند أصحاب حرفة البناء من التخفى والتعاون والمحافظة على سر المهنة . ولعلها كانت أمينة فى

احتفاظها ببعض رموز البناء ودرجات العاملين فى حرفته · أما ما يقال فى كثير من الكتب الماسونية عن قدم الفكرة وممارستها قبل ظهورها فى انجلترا فامر لايوجد عليه اى دليل أو مستند تاريخى ، بالرغم من أن الجمعيات السرية اقدم من التاريخ ذاته فى الغالب · ومن انجلترا انتقلت الماسونية الى البلدان الأخرى فى أوربا ، ثم انتشرت عن طريقها فى مستعمراتها ·

٢ ـ تعد الماسونية اكبر جمعية سرية فى العالم كما قال محرر الدائرة البريطانية ، وان كان محرر الدائرة الاميركية ينكر هذه السرية بدعوى أن الماسونية لاتخفى وجودها وأهدافها وعملها · واذا صح ذلك فلماذا تحرص المحافل على طابع السرية فيما يتصل بالشعائر وعدم دخول الغرباء على الاقل ؟ واذا صح ذلك أيضا فلما لاتصبح المحافل مثل الأندية ذات العضوية الخاصة ؟ واذا صح ذلك مرة اخرى اليوم فلم يكن صحيحا بالأمس ، لا فى انجلترا ولا فى بلدان أوربا والشرق الأوسط · ومن الملاحظ أن الماسونية فى أميركا بالذات بدأت فى التحرر فى بعض النواحى · فالمحافل الأميركية هى الوحيدة فى العالم تقريبا التى فتحت بعض أبوابها للنساء والصبيان والبنات ، وبدأت تمارس نشاطا اجتماعيا واضحا · ومع ذلك تظل اجتماعاتها مغلقة ومناقشاتها سرية · فهل لزمت الماسونية السرية حتى تثير فى طالبيها الفضول لمعرفة الأسرار ؟ لو كان الامر كذلك لفتحت عضويتها لمن يتقدم لا لمن يرشحه عضو عامل او اكثر · ومن الملاحظ ايضا أن أى انحراف للماسونية ـ حتى من وجهة نظر أنصارها ـ كان ومازال يرجع الى طابع السرية فيها · وكانت هذه السرية مغرية جدا فى كثير من الأحوال فى ظل الأنظمة الدكتاتورية والشمولية ، مغرية بالتآمر والجرائم ، لسبب بسيط هو أن المحافل هى الجمعيات السرية الوحيدة المصرح بها فى البلاد التى تحتضنها ·

وستظل هذه السرية ، سواء كانت صحيحة أو مزعومة ، مكمن الخطر دائما فى الماسونية ، أو مكمن الشبهة على الأقل ٠

٣ ــ تصر الماسونية على عنصر الدين بمعنى انها تدعو أعضاءها الى أن يكونوا على دين من جهة ، وان يتفقوا على ان الكون يسيره مهندس أو بناء أعظم ٠ ولكنها فى الوقت نفسه تصر على عدم الخوض فى الدين أو السياسة ٠ فكيف يتفق هذا مع ذاك ؟ واذا كانت الأديان المعروفة تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر فما هو الجديد الذى تقدمه الماسونية ؟ هل فرغ أنصار هذه الأديان من تحقيق المعروف والخير والقضاء على المنكر والبغى حتى يتطلعوا الى اهداف اخرى ؟ واذا كانت الماسونية فى الماضى والحاضر قد انتشرت هذا الانتشار واغرت الملوك والرؤساء والقواد واولى الحل والعقد بالانتماء اليها فهل استطاع هؤلاء ان يقدموا من خلالها خدمة واحدة للبشر ؟

هل استطاعت « الأخوة الماسونية » ان تمنع حربا أو تحل مشكلة تمس الوجود البشرى على ظهر الأرض ؟

لاشك ان عمل الخير كثير الابواب ، ولكن الانسان العادى حين يقرأ او يسمع عن تلك الأسماء الرنانة ، داخل المحافل الماسونية ، يتوقع من أصحابها شيئا اكبر من بناءمستشفى أو التبرع بمنحة دراسية لطالب او زجاجة دم لجريح ٠ اما ملاحظة محرر الدائرة الأمريكية أن الماسونية ليست جمعية دينية ، ولكنها دينية المبادىء ، فلا تحل المشكلة ولاتجيب عن هذه الأسئلة ٠

٤ ــ دخلت الماسونية امريكا على أيدى اليهود ٠ ومعنى هذا ان اليهود أدخلوها كاقلية حتى يصنعوا لأنفسهم نوعا من المظلة الواقية ٠ فمن الواضح من العرض السابق ان الماسونية ــ فكرة

وتطبيقا ــ نشأت بدافع أساسى ، هو خدمة اقلية معينة تمثل مجموع اعضائها ، حتى حين بدأت كنقابة ــ أو مايشبه النقابة ــ للبنائين القدماء · ولايمكن تصورها ــ حتى اليوم ــ خارج نطاق الأقلية ــ فهى تنظيم للاقلية بحكم النشأة والممارسة · وليس من المستبعد أن يكون لليهود دور فى نشأتها القديمة او الحديثة ، وفى توجيه بعض محافلها لخدمة اغراضهم كأقلية · فهذا كله امر طبيعى لايستبعد ولايستغرب · بل يوحى به قول محرر الدائرة اليهودية ان دستور الماسونية قد صيغ بطريقة تسمح بعضوية اليهود · فلماذا اذن لا يحتمل أن يكون لليهود ضلع فى هذا الدستور ؟ لقد واجهوا ــ عبر تاريخهم الطويل ــ اضطهادا مريرا فلماذا لا نتوقع منهم ان يعملوا على حماية انفسهم بمختلف الوسائل ، وأن ينشطوا داخل المحافل ؟

لقد ذكر المحرر اليهودى اسم ادولف كريميو (١٧٩٦ ــ ١٨٧٤) الذى مر بنا · وهذا الرجل يحتل عند اليهود والصهاينة مكانة مرموقة · ولانعتقد انه كان ليتأخر عن خدمة بنى ملته عن طريق نفوذه ودرجته فى الماسونية · فقد كان ايضا رئيسا للطائفة اليهودية فى باريس · وهذا أمر طبيعى يتساوى تماما مع استغلال الايطاليين والبولنديين للمحافل الماسونية فى بلادهم ، ونجاحهم فى تحويلها الى خلايا سياسية وتآمرية لخدمة اهدافهم · فمن حق اى جماعة اذن أن تستغل الماسونية ــ أو غيرها ــ مادامت تشكل فيها مركز قوة · وسوف نرى كيف استطاع اليهود والصهاينة فى مصر أن ينتفعوا بمركز القوة الذى حققوه فى المحافل الماسونية ·

٥ ــ تعد الماسونية فى النهاية ظاهرة نسبية ، تختلف فى نشأتها وتطورها من بلد الى بلد ومن عصر الى عصر · بل ان سريتها او علنيتها كانت دائما مسألة نسبية ايضا تحددها التيارات السائدة فى المحافل واتجاهات الريح السياسية فى الدولة ·

وفى هذه النقاط الست تتلخص التجربة أو الظاهرة الماسونية. ولكن هناك تجربة أخرى للماسونيين أنفسهم مع مصر ، وهى تجربة من طرف واحد ، أشار اليها الباحث الانجليزى مارتن برنال فى كتابه « أثينا السوداء » . فقد ذكر أن الماسونيين الأوربيين تبنوا فى القرن الثامن عشر كثيرا من أفكار اليونان القديمة عن مصر . بل اهتموا بمصر منذ العصور الوسطى ، وعدوها مهبط الهندسة والبناء . وعندما تكونت الماسونية التأملية فى بداية القرن ١٨ اتخذوا مصر نموذجا لعقيدتهم ، وجعلوا رموزهم شبيهة باللغة الهيروغليفية ، ومحافلهم شبيهة بالمعابد الفرعونية ، بل جعلوا أنفسهم أشبه بالكهنة المصريين القدماء ، فى الوقت الذى أسقط فيه الأكاديميون فى أوربا مصر — من حسابهم — كمعلم لليونان . وعندما أخذ الماسونيون بعض تعاليمهم وأساطيرهم من الفينقيين لم يسقطوا مصر من حسابهم . فهم يسمون الله باسم مركب من مقاطع هو «يعبلون» Jabulon المقطع « يا » اختصار لكلمة « ياهوه » إله اسرائيل ، والمقطع « بول تحريف لكلمة « بعل » إله الكنعانيين ، والمقطع « أون » هو الاسم العبرى لمدينة « عونو » المصرية القديمة المعروفة عند الاغريق باسم « عين شمس » . وكانت هذه المدينة — عند القدماء — مركز العلم ومهبط الحكمة الباطنية وعبادة الشمس(١١) .

معنى هذا أن الماسونيين الأوربيين الأوائل لم يخفوا اعتزازهم بمصر فى الوقت الذى كانت فيه الدوائر الجامعية الأوربية تعتز باليونان ، وتعدها مصدر المعرفة والحضارة . وترتب على الاعتزاز الماسونى أن المعابد الماسونية مازالت تقام حتى اليوم على صورة المعابد الفرعونية ، ومازالت رموزهم أشبه بالهيروغليفية، مثل الأهرام والعين اللذين يتصدران — حتى اليوم — خاتم الولايات المتحدة الرسمى وعملتها الورقية . وكان مصدرهم فى هذا كله كتاب Sêthos

للأديب الفرنسى الأب تيراسون الذى راج فى أوربا خلال القرن ١٨ ، وصار مصدر عدد من المسرحيات والأوبرات مثل « الناى السحرى » لموتسارت · ومع أن هذا الكتاب اتخذ الشكل القصصى فقد صار مصدر التاريخ الماسونى وأساطير الماسونية وشعائرها لأن معلوماته عن مصر القديمة كانت شديدة الغنى والطرافة وقت ظهوره ·

وقد ظهر الكتاب عام ١٧٣١ بعنوان « سيتوس » وتحته عنوان آخر فرعى هو « تاريخ وحياة مستقيان من الآثار : حكايات من مصر القديمة » · أما سيتوس فهو أمير مصرى ، ولد قبل حرب طروادة ، وأنجب رمسيس الثانى · وهو أيضا بطل هذه الرواية التعليمية الشبيهة برواية « تليماك » لفنيلون التى ترجمها رفاعة الطهطاوى فى منتصف القرن الماضى · ولكن رواية سيتوس أو سيتى هذه تلح على فكرة تفوق المصريين على الاغريق ، وتأثيرهم الكبير عليهم ، فى مجالات السياسة والفلك والهندسة والحساب · كما تلح على فكرة تأثر الفينيقيين بالحضارة المصرية القديمة(١٢) ·

وهكذا ساهمت مصر ــ دون أن تدرى أو تقصد ــ فى بناء الماسونية العملية يوم اقامت بناياتها الضخمة مثل المعابد والأهرامات ثم ساهمت فى بناء الماسونية التأملية والرمزية يوم أتاحت لأنصارها الكثير من مظاهر التفوق الحضارى والثقافى القديم ·

الفصل الأول

مرحلة التاسيس

تروى بعض المصادر ان مصر عرفت الماسونية بمدينة الاسكندرية عام ١٧٤٧ (١٢) • ولكن هذه الرواية ضعيفة • فالمشهور والمتواتر أن مصر عرفت المحافل الماسونية عقب غزو بونابرت سنة ١٧٩٨ • وكان جرجى زيدان أول من ارخ فى العربية لتاريخ هذه المرحلة • وعنه نقلت جميع المصادر العربية التالية بعد صدور كتابه « تاريخ الماسونية العام » سنة ١٨٨٩ •

وقسم زيدان تاريخ الماسونية فى مصر الى طورين على نحو مايفعل المؤرخون الأوربيون : الطور العملى المتصل بتكوين منظمات البنائين الفعليين أو نقاباتهم ، والطور الرمزى المتصل بالمحافل الحديثة التى اخذت رموزها عن البنائين القدامى • و عد الماسونية قديمة العهد فى مصر من حيث طورها العملى ، « لأن الجمعيات المصرية السرية كانت تعلم مايقرب كثيرا من تعاليم الماسونية » • وهذه الجمعيات قديمة فى رأيه ، ترجع الى عهد بناة الأهرامات والمعابد الضخمة • ومع ذلك جاءت الماسونية الى مصر بعد ذلك من الغرب فى العصور الوسطى ، « حيث عهدت الحكومة المصرية فى عهد الخلفاء الى فئات منهم هندسة وبناء كثير من الجوامع والقلاع والأسوار » وضرب مثالا على هذا بجامع احمد بن طولون فى القاهرة الذى عهد ببنائه الى جماعة من البنائين النصارى القادمين من أوربا(١٤) • ولكن اذا صح أن هؤلاء البنائين كانوا من

أوربا فليس من المؤكد انهم كانوا ماسونيين بالمعنـــى المعـروف ٠ ولا توجد ادلة على ذلك ، ولا على قدم عهد الجمعيات الماسونية فى مصر ، ولا على صلتها بالجمعيات السرية القديمة ٠ والأمر كلـه محض تخمين واستنتاج من جانب زيدان الذى بدا متحمسا فى كتابه للماسونية ٠

تناول زيدان بعد ذلك الطور الرمزى فى الماسونية المصرية ، وهو الطور الحديث بوجه عام عند مؤرخيها الأوربيين ٠ وقال ان هذا الطور لم يظهر فى مصر « قبل ســنة ١٧٩٨ أى اثنـــاء الحملـــة الفرنســــاوية » على حد تعبيره(١٥) ٠ فقد اتفق بونابرت وكليبر وبعض قواد تلك الحملة وضباطها من الماسونيين الفرنسيين على تأسيس محفل فى القاهرة ، فأسسوه فى اغسطس من تلك الســـنة باسم « محفل ايزيس » على طريقة ممفيس ٠ « ولعلهم ــ كما يقول زيدان ــ قصدوا بذلك مقصدا سياسيا لأنهم ادخلوا فيه كثيرا من عمد البلاد ورجالها » ٠ ثم توقف نشاط المحفل بعد رحيل بونابرت ومصرع كليبر(١٦) ٠

ومضى زمن طويل قبل ان تتكرر المحاولة ٠ ففى سنة ١٨٣٠ اسس بعض الايطاليين فى الاســـكندرية محفـــلا على الطريقـــة الاسكتلندية ٠ وتلاه محفل آخر فى القاهرة سنة ١٨٣٨ تحت رعاية المجلس العالى الممفيسى الفرنسى ، واسمه مينيس ٠ وفى سنة ١٨٤٥ شهدت الاســكندرية تأسيس محفـل تحت رعاية الشرق الأعظـــم الفرنسى اسمه « الأهرام » ، انضم اليه كثيرون من الأجانب والاهالى تحت سمع وبصر الحكومة ٠ وله الفضل الاعظم فى بث التعاليـــم الماسونية فى مصر كما يقول زيدان ٠ وابرز اعضائه من غير الأوربيين الأمير حليم ابن محمد على والامير عبد القادر الجزائرى الذى قاد ثورة الجزائر ضد فرنسا عند غزوها لبلاده ثم فر الى مصر ، واقام

بعدما فى الشام . وقد اشتهر هذا المحفل ـ كما يقول زيدان أيضا ـ بالأعمال الخيرية ، وتزايد اعضاؤه حتى بلغوا الفا بعد ١٥ سنة من تأسيسه . وفى سنة ١٨٤٩ أسس الايطاليون محفلا اخـــــر على الطريقة الاسكتلندية فى الاسكندرية . وفى سنة ١٨٥٦ بعث المجلس العالى الممفيسى فى فرنسا مندوبا خاصا لانشاء مجلس عال اقليمى على طريقته ومايلزم ذلك من المحافل الفرعية . وفى الوقت ذاته أسس الايطاليون عددا من المحافل فى الاســـــكندرية والقاهرة بين سنتى ١٨٥٩ ـ ١٨٦٢ . كما أسس الفرنسيون عددا آخر من المحافل التابعة للشـــــرق الأعظم الفرنسى ، ولم يقتصروا على القاهرة والاسكندرية ، وانما مدوا نشاطهم الى بور ســـــعيد والســــويس والاسماعيلية .

وهكذا أصبحت المحافل فى مصر تتبع ثلاثة مجـــــامع أوربية كبرى هى : المجلس العالى الايطالى والمجلس العالى الفرنســـــى والشرق الأعظم الفرنسى . وفى سنة ١٨٦٧ بدأ الانجليز فى دخول الحلبة ، فانشأ المحفل الأعظم الانجليزى فى القاهرة بضعة محافل ، ولكن أنصاره لم ينجحوا فى انشاء مجلس أعلى اسكتلندى للاشراف على هذه المحافل ، وكذلك لم ينجح بعض المتحمســـــين الايطاليين والشوام من أصحاب الدرجات الماسونية العليا فى تأسيس مجلس أعلى مصرى أو شرق أعظم مصرى . ولكن حدث فى ٨ نوفمبر ١٨٧١ أن نجح أنصار الطريقة الاسكتلندية فى انشــــاء مجلس أعلـــــى اسكتلندى . وفى ١٥ سبتمبر ١٨٧٢ اتحدت بعض المجالس وكونت مايسمى الشرق الأعظم الوطنى المصرى . « وهو الدولة الماسونية المصرية وتحته الطريقة المفيسية (الفرنسية) والطريقة الاسكوتلاندية ولم تمض فترة وجيزة حتى أصبحت المحافل الوطنية المصرية تحت رعاية الشرق الأعظم المصرى عديدة »(١٧) وانتخب أعضــــاء هذا

الشرق استاذا اعظم يدعى سوليتـــورى افتورى زولا · ثم جددوا انتخابه فى ٢١ مارس ١٨٧٣ · وذهب الى الخديو اسماعيل يطلب حمايته للعشيرة ·

يقول زيدان :

« مثل بين يدى سموه فى ٢٩ ابريل سنة ١٨٧٣ بالنيابة عن الشرق الأعظم · وقدم واجب العبودية · واعرب عما لهذه العشيرة من المقاصد الحسنة ، وبين انها فى احتياج كلى لحماية امير البلاد ، فتعطف سموه اذ ذاك ، وصرح بالحماية مشترطا عليها ان لاتتعاطى امرا مخالفا لصالح الأمة والدولة والوطن ، وان لاتتداخل فى السياسة الا اذا دعيت أو دعى بعض اعضائها من امير البلاد او حكومته للمساعدة فيما يعود الى الصالح العام ، فعلى المدعو اذ ذاك ان يلبى الدعوة بما فى وسعه حالا · فتعهد الأستاذ الأعظم بالشرف ان الماسونية لاتسير الا كما اشترط سموه · وعلى ذلك تم التعاضد بين الحكومة المدنية والدولة الماسونية · واصبحت القوتان يدا واحدة فى ترقية شان الأمة ورفع منار الفضيلة »(١٨) ·

ولعلنا لاحظنا فيما اقتبسناه حتى الآن من زيدان انه لم يكن محايدا فى تاريخه ، وانه كان ماسونيا متحمسا وقت تاليفه لهذا التاريخ · ومع ذلك يمكن ان نلاحظ مما كتب ان الماسونية انشأهـــا الأوربيون المستوطنون فى مصر ، وضموا اليها بعض المستوطنين الشاميين وبعض الأهالى المصريين ، كما نلاحظ ان المحافل جاملت الأمير حليم بالرياسة حتى طرده الخديو اسماعيل من مصر سنة ١٨٦٨ ، ثم عهدت الى زولا بالرياسة من بعده حتى طـــرد بدوره وشطب اسمه من سجل الماسونية · وكان السبب فى ذلك ــ كما يقول حنا ابو راشد ــ انه ذهب الى ايطاليا ، وهناك حمله رجال الفاتيكان

على التشهير بالماسونية(١٩) • ونلاحظ اخيرا أن المحافل حتى ذلك الوقت ــ منتصف سبعينات القرن ــ كانت ايطالية وفرنسية وأيرلندية واسكتلندية وامريكية ، وأن الطريقتين الرئيسيتين لهذه المحافل كانتا المفيسية والاسكتلندية •

في ٨ مايو ١٨٧٦ اصدر الشرق الأعظم الوطني المصرى ، الذى تقاسمته هاتان الطريقتان ، قرارا بوضع حد لهذا الازدواج وتحديد طريقة واحدة « بحيث تكون وحدها دعامة الدولة الماسونية المصرية » على حد قول زيدان • ولما كانت الطريقة المفيسية الفرنسية الأصل تعد عند اقطاب الماسونية غير اصولية أو قانونية فقد استقر الرأى على الطريقة الاسكتلندية كدعامة للدولة الماسونية المصرية • واذا كان تعبير « الدولة » هنا ، الذى استخدمه زيدان وغيره ، تعبيراً تضخيميا فلا يهمنا منه سوى معناه المجازى • وقد ترتب على انفراد الطريقة الاسكتلندية باهتمام الشرق الاعظم الوطني المصرى أن صدر قرار منه بانشاء المحفل الأعظم الوطني المصرى • ومن الطريف ان نلاحظ في صيغة القرار الذى أورده زيدان ان زولا يتعامل مع الواقع كما لو كان على رأس دولة فعلية • فهو يسمى القرار « امر عـال نمرة ٧٧ » • ويبدؤه بعبارة « نحن زولا استاذ اعظم الشرق الوطني المصرى » ويؤكد في المادة الثالثة من القرار على ان « الشرق الأعظم الوطني المصرى هو الدولة الماسونية المصرية » ، أى انه أعلى سلطة ماسونية في البلاد • ومن الطريف أن نلاحظ أيضا في موقعى القرار ان ثلاثتهم اوربيون (زولا ونائبه يوسف دى بورغارد ، والسكرتير الأعظم فرنسيس فرديناند أودى ، وأمين الختم الاعظم بالنيابة ديليا روغلى) وانهم لايمكن أن يوحوا بأن ذلك الشـرق كان وطنيـا أو مصريا • أما النص على « الوطني » و « المصرى » فيبدو أنه كان لتحبيب الأهالي في الماسونية •

وبعد أن تم انشاء المحفل الأعظم على هذا النحو تمت مكاتبة الدول الماسونية الأجنبية ـ كما يقول زيدان ـ وابلاغها بالقرار (أورد زيدان قائمة بنحو ٧٦ محفلا فى مختلف ارجاء العالم) وجاء رد هذه « الدول » الأجنبية بالمصادقة على القرار واعتماده ·

يقول زيدان أيضا :

« وفى ٨ اكتوبر سنة ١٨٧٦ التأم المحفل الأعظم وكرس بحضور الموظفين والمندوبين من قبل المحافل العظمى الاجنبية · وفى ٢ أغسطس من السنة التالية صدر الامر العالى نمرة ١٢٦ بتأسيس محفلين عظميين اقليميين ، أحدهما لمصر الوسطى ومركزه طنطا ، والآخر لمصر العليا ومركزه القاهرة · وكلاهما تحت رئاسة الاخ المحترم ايكو مونوبولو بصفة أستاذ أعظم اقليمى · أما مصر السفلى فكانت تحت المحفل الاعظم المصرى فى الاسكندرية · وانشئت اثناء ذلك محافل وأوقفت محافل »(٢٠) ·

وحتى ذلك التاريخ كان المحفل الاعظم الوطنى المصرى هذا يمارس نشاطه من الاسكندرية ، ولكن تقرر فى جلسة ١٥ سبتمبر ١٨٧٧ نقل مركزه الى القاهرة · وصدر الأمر العالى بذلك واجتمع المحفل لأول مرة فى القاهرة فى ٥ مايو ١٨٧٨ فى قاعة محفل الماراتونا « تحت رئاسة الأستاذ الأعظم الكلى الاحترام زولا » ومنذ ذلك التاريخ أصبحت القاهرة مركز نشاط « الدولة » الماسونية فى مصر ·

أورد زيدان ـ فوق هذا كله ـ قائمة بأسماء المحافل التابعة للمحفل الوطنى · وتضم القائمة ٢٩ محفلا أصبح معظمها ـ حتى ذلك التاريخ ـ يعمل من القاهرة ، فضلا عما سماه «المحافل والمجامع الأجنبية » فى مصر ، وهذه بلغ عددها فى ذلك الوقت ٩ محافل تابعة للشرق الأعظم الفرنسى ، ٦ محافل تابعة للمحفل الأعظم المتحد

الانجليزى (اقدمها محفل زتلاند فى الاسكندرية الذى تاسس سنة ١٨٦٧) ، ٥ محافل تابعة للشرق الايطالى ، ٧ مجامع (Chapters)

(أى المحافل التى تشتغل بالدرجات الماسونية العليا) تتبع المحفل الأعظم الانجليزى(٢١) ومعنى هذا أن مجموع المحافل العاملة - غير المتعطلة - فى مصر حتى سنة ١٨٧٨ كان يبلغ ٥٦ محفلا ، وهو عدد كبير - بالطبع - اذا قيس بتعداد السكان فى ذلك الوقت الذى كان لايزيد على ٦٫٨١٣٫٩١٩ حسب احصاء ١٨٨٢ · ومن هذا العدد ٢٧ محفلا اجنبيا ، أى للاجانب الأوربيين وحدهم ، مقابل ٢٩ محفلا مصريا ، أى للاجانب المتمصرين والأهالى · وحتى اذا صح أن المحافل المصرية كانت مصرية بالفعل فان عدد المحافل الاجنبية يكاد يساوى عددها ، ولا يتفق مع عدد الأجانب ·

ومن الواضح أن جرجى زيدان توقف فى تاريخه للماسونية فى مصر عند سنة ١٨٧٨ ، أى قبل صدور كتابه بنحو عشر سنوات، دون أن يوضح السر فى توقفه عند ذلك التاريخ · ولكنه أشار فى مقدمته للكتاب الى أنه استقى معظم معلوماته من زولا الذى أصبح وقتها « رئيس أعظم المحافل المصرية سابقا » ، وأنه لو ساعده المقام - على حد تعبيره - لأتى على تفاصيل كثيرة يعلمها ولكنه اضطر الى الاكتفاء بالنزر اليسير منها والاغضاء عن بعضها « لما يحول دون التصريح بها من المحظورات التى نرجو قرب زوالها يوم لايحظر على أحد التصريح بما فى ضميره » على حد تعبيره(٢٢) · ولانريد أن نحمل اعتذاره هذا فوق ما يحتمل ، ولكننا نشم فيه نوعا من الحرج ازاء التصريح بكل ماعنده عن الماسونية فى مصر وسوريا كما قال واغلب الظن أن هذا الحرج مبعثه أن زيدان نفسه كان ماسونيا عاملا متحمسا حتى وقت تاليفه لهذا الكتاب · والماسونية - بحكم دستورها الأول الذى نقله فى كتابه - تلزم أعضاءها بكتمان أسرارها عمن

ليسوا منها . ومع ذلك لم يكتب زيدان بعدها عن الماسونية فى مجلته « الهلال » او غيرها ، حتى وفاته سنة ١٩١٤ ، سوى بضعة أسطر فى كتابه « تاريخ مصر الحديث » . فقد قال فى هذا الكتاب ان المحافل الوطنية (الأهلية) تاسست فى عهد اسماعيل ، وان شان الجمعية الماسونية فى مصر تعزز بحمايته ، فانتشرت مبادئها « حتى انتظم فى سلكها نجله المغفور له الخديو السابق (توفيق) وجماعة كبيرة من أمراء البلاد ووجهائها »(٢٣) واغلب الظن ايضا ان زيدان مات على ماسونيته التى تمنع التصريح بكل شىء .

بالرغم من الاجمال والاسقاط فى معلومات جرجى زيدان اللذين اعتذر عن اضطراره اليهما فقد ظل كتابه عمدة المراجع عن تاريخ تلك المرحلة من حياة الماسونية فى مصر . كما ظل نهبا لزملائه الصحفيين والكتاب الذين كانوا يرجعون اليه ، وينقلون عنه ، دون اعتراف بالفضل(٢٤) ومع ذلك حاول بعض الباحثين والمستشرقين المعاصرين أن يعودوا الى تلك المرحلة ، وأن يراجعوا ظروف نشاة الماسونية . ومن هؤلاء الباحث الاسرائيلى يعقوب لاندو والباحثة الايرانية هوما باكدامان اللذين قاما بجهد مكثف فى هذا الميدان .

يقول لاندو :

« فى سنة ١٨٠٢ تاسس محفل بالاسكندرية ، ثم تلاه آخر بعد اربع سنوات . وكان الاثنان تحت رعاية محفل الشـــــرق الأعظم الفرنسى . ولكن نشاطهما مالبث ان توقف . ثم نسمع فيما بعد عن تأسيس محفلين فرنسيين آخرين ، احدهما فى القاهرة سنة ١٨١١ ، والآخر فى الاسكندرية سنة ١٨١٢ . ومع ذلك لم يستمرا طويـــلا شان محفل ثالث تاسس سنة ١٨١٥ »(٢٥) .

ويستمر لاندو فى روايته فيضيف ان بعض الماسونيين الايطاليين رحلوا من ايطاليا عقب فشل الثورة هناك سنة ١٨٣٠ ثم جاءوا الى الاسكندرية ، فاسسوا محفلا معتمدا من الطريقة الاسكوتلاندية فى ذلك السنة · وفى سنة ١٨٣٨ اسسوا محفلاً آخر بالقاهرة · وتم هذا كله فى سرية تامة خوفا من ملاحقة السلطات المحلية · ثم اعاد الماسونيون الفرنسيون تنظيم صفوفهم فى عهد محمد على فاسسوا محفلا محليا فى الاسكندرية سنة ١٨٤٥ ضم بعض كبراء المسلمين مثل الأمير عبد القادر الجزائرى والأمير حليم · وفى سنة ١٨٦٠ بلغ عدد اعضاء المحافل الفرنسية فى الاسكندرية الف عضو · كما اعاد الايطاليون تنظيم صفوفهم ايضا ١٨٤٩ ، ونشروا كثيرا من الكتيبات والمنشورات للدعاية للماسونية بلغتهم · ولكن يبدو ان الفرنسيين تفوقوا على الايطاليين فى ذلك · ففى سنة ١٨٥٦ ارسلوا الى مصر وفدا خاصا لتاسيس محفل فى الاسكندرية وسرعان مانشروا — مع الايطاليين — المحافل خارج القاهرة والاسكندرية ، ولاسيما فى بورسعيد والسويس والاسماعيلية والمنصورة(٢٦) ·

واذا كان لاندو قد سد — كما راينا — الفجوة الزمنية التى جاءت فى رواية زيدان ، من ١٧٩٨ الى ١٨٣٠ ، فلم يضف الكثير بعد ذلك الى ما سبق أن عرضناه من رواية زيدان · ولكنه يستمر فى روايته فيقول ان الفرنسيين اسسوا محفلا جديدا فى الاسكندرية باسم « نهضة اليونان » سنة ١٨٦٣ ، وهى السنة التى تولى فيها الخديو اسماعيل الحكم · وفى السنة التالية انشأ الايطاليون محفلا آخر بالاسكندرية ايضا باسم « اتحاد الشعب » وفتحوا باب عضويته للاهالى · ويبدو ان بعض الجمعيات الايطالية السرية تنكرت فى ذلك الوقت — كما يقول — وراء المحافل الماسونية · ومع ذلك تأسس محفل ألمانى بالقاهرة سنة ١٨٦٦ ومحفل آخر انجليزى فى السنة التالية ، نشط فيه رالف بورج نائب القنصل الذى اختار بعض اعضائه من

الأهالى ٠ • وسرعان ما وقع اختيار الماسون الفرنسيين من اتباع محفل ممفيس على الأمير حليم فجعلوه استاذا اعظم لهم • وخلال السنوات ١٨٧٢ ــ ١٨٧٨ اندمجت معظم المحافل الفرنسية فى محفل الشرق المصرى الكبير بالقاهرة ، مما جعل الماسون قوة يحسب لها حسابها ، حتى فكر الخديو اسماعيل فى استقطابهم عن طريق اظهار الاهتمام بهم ، ومد يد الحماية اليهم(٢٧) ٠

مرة اخرى لايقدم لاندو اكثر مما قدمه زيدان من قبل ، باستثناء اشارته الى المحفل الألمانى الذى لم يرد له ذكر عند زيدان ٠ وقد جاء ذكر محفل « نهضة اليونان » مختلفا عما جاء عند الأخير الذى ذكره باسم « محفل اليونان » وذكر أن مقره القاهرة ، وان تاسيسه تم عام ١٨٦٦ ، ولكنه تعطل(٢٨) ٠ أما محفل « اتحاد الشعب » الايطالى فلم يرد ذكره عند زيدان تحت هذا الاسم ، وربما كان له اسم اخر من الأسماء الخمســـة للمحافل الايطالية التى اوردها (الكوكب الاسكندرى ، نوفا بومبيا ، الشنشناتو ، السلام ، نور الشرق(٢٩) ٠

وقد استخلص لاندو هذه المعلومات والتواريخ ــ كما يقول ــ من وثائق ورسائل ومنشورات ايطالية وفرنسية عديدة ٠ ومع ذلك فهى لاتضيف الكثير كما قلنا لما رواه جرجى زيدان ، الا فيما يتعلـــق بالنصف الأول من القرن الماضى ٠ ومع ذلك ايضا فهذه الاضافة تنكرها هوما باكدامان التى تعتقد ان الماسونية لم تدخل مصر قبل سنة ١٨٤٨ ٠ فقد رجعت الى محفوظات المحافل الفرنسية فى باريس ، ووجدت ان أول محفل أنشىء فى مصر هو محفل « الاهرام » الذى تاسس فى الاسكندرية فى ١٦ ابريل ١٨٤٨ ، ثم توقف عن نشاطه بعد فترة قصيرة ٠ ولكنه استانف النشاط سنة ١٨٦٢ ٠

تضيف باكدامان ان ستينات القرن الماضى شهدت انشـــاء

محفلين آخرين تحت رعاية « الشرق الأعظم الفرنسى » ، همــا محفل « نهضة اليونان » الذى تأسس فى الاسكندرية فى ٦ نوفمبر ١٨٦٣ ومحفل « النيل » الذى تمت الموافقة على دستوره الرمزى فى ٢٣ مارس ١٨٦٨ · ومع ذلك لم يتأسس — فى رأيها — أى محفل أهلى مصرى قبل سنة ١٨٧٥ ، على الرغم من أن محفل « الأهرام » طلب من محفل الشرق الأعظم الفرنسى فى ٢٠ فبراير من ذلك العام انشاء محفل فى مصر تكون لغته العربية ، بدعوى أن جميع المحافل تستخدم لغات أجنبية ، وأن الأهالى لايستفيدون من هذه المحافل · ومن ثمة تأسس محفل « نور مصر » تحت رعاية الشرق الأعظـــم الفرنسى · كما تأسس فى الاسكندرية ايضا محفل فى غاية من الاهمية هو « الشرق الأعظم المصرى » الذى اندمجت فيه المحافل الاخرى الأصغر · واختير الأمير حليم أستاذا أعظم لهذا المحفل الكبير(٣٠)

ومع ذلك فهذه الرواية مهمة ، من حيث انها تضـــيف بعض التفصيلات حول نشأة المحافل التابعة لفرنسا · ولكنها لا تدحض احتمال أن يكون بونابرت وضباطه أسسوا محفلهم — ان صح أنهم أسسوه — بمعزل عن المحفل الأعظم فى بلادهم ، فضلا عن انها تتعلق بالمحافل الفرنسية وحدها ، ولاتتصل بالمحافل الأخرى ، ولا ســـيما الايطالية التى قد تكون أسبق من زميلاتها · وبذلك يظل اجتهاد لاندو صحيحا · ويسنده ، من جهة أخرى ، أن الجالية الايطالية فى مصر — فى الاسكندرية بصفة خاصة — كانت أكبر الجاليات الأوربية طوال عهد محمد على ، على الرغم من أن الأخير كان أميل الى الفرنسيين · ومع أن الرواية المشهورة حول دخول الماسونية مصر زمن الحملة الفرنسية لاتستند الى أى دليل مادى موثوق فيه فهى تظـــل محض اجتهاد أيضا ، ربما يسنده أن ضباط بونابرت وجنوده أسسوا محافل ماسونية فى المانيا عندما فتحوها سنة ١٨٠٦ ·

غير أن لاندو وباكدامان لم يذكرا شيئا عن ذلك الرجل الذى يبدو انه لعب دورا خطيرا فى المحافل الماسونية فى تلك المرحلة ، وهو سوليتبرى زولا الذى ذكره زيدان ، وانتفع بما عنده من مـــادة عن المرحلة • فهذا الرجل الذى لاندرى ملته او جنسيته لم يذكره بعد ذلك سوى شاهين مكاريوس فى أوائل القرن العشرين • ومع أن مكاريوس الماسونى الأكثر تحمسا من زيدان ، وقع فى بعض الاخطاء الخاصة بالتواريخ التى ذكرها زيدان ، مثل دخول الماسـونية مصـــر فى اغسطس سنة ١٧٩٧ وصوابها ١٧٩٨ ، فقد ذكر أن المحفل الأعظم الوطنى المصرى تأسس سنة ١٨٧٦ « بعد حدوث انقلابات كثيرة » على حد قوله دون توضيح ، وان اول رئيس له كان رجلا ايطاليا — هكذا — يدعى «سولتورى» «التورى» زولا • ثم قال مكاريوس ان ذلك الرجل « فصل فيما بعد ومحى اسمه من سجل المحفل الأكبر لدواع اقتضت ذلك » دون توضيح أيضا(٣١) • ثم ترأس المحفل بعده رجل آخر (ربما يكون يونانيا) اسمه ديونيس ايكونوموبولو سنة ١٨٧٧ • واذا كان زولا المذكور قد ترقى فى سلم الماسونية حتى وصل الى درجة « استاذ أعظم » — كما رأينا — ثم اختى عليه الدهر ، فعزل ، ومحى اسمه من سجل المحفل لدواع اقتضت ذلك ، فلابد أن تكون هذه الدواعى شديدة الأهمية والخطورة • ولكن مكاريوس لم يفصل ما قال ، ومات على ماسونيته دون ان يصرح بشىء •

ومن الوقائع والمعلومات السابقة يبدو الغرض السياسى فى دخول الماسونية مصر واضحا ، سواء دخلتها على ايدى بونابرت وضباطه أو دخلتها فى عهد الخديو اسماعيل • كما يبدو الطابع الأوربى فى دخولها واضـــحا أيضا • فباستثناء الأميرين حليم وعبد القادر لم تحفظ لنا السجلات الأولى لأعضاء المحافل الماسونية

سوى أسماء الأوربيين ، ايطاليين وفرنسيين ويونانيين ، كما يتضح من الأسماء التى ترددت هنا حتى الآن(٣٢) ·

غير ان هذه المرحلة ، مرحلة التأسيس ، حفلت ــ فيما يبدو ــ بالكثير من النشاط والتطورات ، بالرغم من بعض الغموض الذى يحيط بتفاصيلها · واذا كانت الماسونية قد دخلت مصر على أيدى الأوربيين النازحين من مختلف الأجناس والجنسيات فقد بدأت فى استقطاب الأهالى وتشجيعهم على الانضمام اليها فى عهد اسماعيل (١٨٦٣ ــ ١٨٧٩) بصفة خاصـــة ، وربما لعب الأميران حليم وعبد القادر دورا فى هذا الاستقطاب ·

يقول لاندو :

« يجوز القول بوجه عام ان الماسونية التى ادخلها الأوربيون الى مصر ظلت مخلصة لمبادىء البر والاحسان والأخوة · وعلى العكس من ذلك تمثلت أسوأ افعالها فى بعض (لا كل) المحافل الايطالية التى استغلت الماسونية فى اخفاء نشاطها الهدام · ففى السنوات ١٨٦٨ ــ ١٨٧٠ على سبيل المثال توجد بعض التقارير المخطوطة البالغة الطرافة للممثلين السياسيين والقنصليين فى مصر ، وتصور هذه التقارير المحافل الماسونية فى صورة خلايا النحل التى تعج بالعناصر الهدامة سياسيا وجنائيا · فمن الناحية السياسية تتآمر هذه العناصر على البيت المالك فى ايطاليا · ومن الناحية الجنائية تمارس الاجرام فى المدن المصرية ، بالقتل وغيره · ثم تجد من محافلها الماسونية الحماية والمأوى والعون »(٣٣) ·

وخلال السنوات ١٨٧١ ــ ١٨٧٩ كانت جميع النشـــرات الماسونية فى مصر تصدر بالايطالية ، كما يقول لاندو(٣٤) · وكانت الاسكندرية مركز الماسونية فى مصر ، ومع ذلك لم يكن ثمة مفر من

ان يستخدم بعض المصريين المحافل فى تحقيق اغراضهم خلال عهد اسماعيل الذى كان فترة اختمار للحركة الوطنية بجميع تياراتها . وكانت الظروف التى وضع فيها اسماعيل البلاد تشجع البحث عن مختلف الوسائل لعلاج أحوال الاقتصاد المتردى والديون المتزايدة والاستبداد المطلق . وكان النموذج الايطالى من الماسونية مطروحا فى سوق الحركة الوطنية الوليدة ، بكل مافيه من شراسة ومؤامرات ويبدو انه كان نموذجا مفضلا . فقد تحمس لممارساته السياسية كثيرون من الوطنيين بمختلف فئاتهم ، ولاسيما الذين انضموا منهم للمحافل الماسونية ، ايطالية أو فرنسية أو انجليزية أو مصرية .

كان على رأس هؤلاء جميعا شخصيتان لعبتا دورا خطيرا فى تطورات الأحداث فى أواخر عهد اسماعيل ، وهما الأمير عبد الحليم (١٨٢٦ ــ ١٨٩٤) المشهور باسم حليم وجمال الدين الأفغانى (١٨٢٨ ــ ١٨٩٧) وكان للاثنين تلاميذ ومريدون واتباع ، أو كان لهما ــ بتعبير ذلك العصر ــ حزبان متعارضان فى الكثير ، ومتفقان على شىء واحد هو ضرورة التخلص من اسماعيل .

أما حليم فكان الوريث الوحيد للعرش حسب نظام الوراثة القديم الذى نجح اسماعيل فى تغييره سنة ١٨٦٦ ، فجعل ولاية العهد لأكبر ابنائه مقابل اكبر ابناء الأسرة العلوية حسب النظام القديم فى عهد محمد على . وبذلك حرم حليم من عرش مصر بالرغم من انه كان اكبر من اسماعيل بشهرين فقط . وقد تلقى تعليمه فى فرنسا بكلية سان سير العسكرية ، وعاد الى مصر سنة ١٨٤٥ فارتبط بالماسونية ، وانشأ علاقات طيبة مع افراد الأسرة الخديوية والأعيان والمثقفين والفرنسيين . واختاره الماسونيون استاذا اكبر لهم فى محفل الشرق الأكبر المصرى سنة ١٨٦٧ ، برغم محاولات اسماعيل لاقصائه عن طريق أعوانه الماسونيين الايطاليين . وعلى اثر انتخابه استاذا اكبر بدا وأعوانه فى التآمر

على اسماعيل · ثم اتهمه اسماعيل بمحاولة اغتياله سنة ١٨٦٨ على ايدى بعض الايطاليين الماسونيين · واتخذ ذلك ذريعة لطرده من مصر فابعده فى نهاية ذلك العام · وذهب حليم الى الآستانة عاصمة الخلافة العثمانية فعاش هناك بقية حياته · ولكن صلته بالأحداث فى مصر لم تنقطع · فقد ظل أعوانه الماسونيون يتحركون، ولاسيما بعد تاكيد السلطان ولاية ابناء اسماعيل بفرمان سنة ١٨٧٣ ·

وفى ١٨٦٩ نسب اليه اسماعيل مؤامرة فاشلة على حياته · وفى ١٨٧٦ شكا منه للقنصل الايطالى بسبب استغلاله أعوانه الماسونيين فى مؤامرات ضده · وفى ١٨٧٩ خفض معاشه الى الربع بمقتضى قانون التصفية للديون · وكان حليم ركز نشاطه من خلال الجمعيات السرية الايطالية ابتداء من سنة ١٨٧٧(٣٥) · ولما سقط اسماعيل فى النهاية سنة ١٨٧٩ حاول حليم الاتصال بالعرابيين والتعاون معهم على اسقاط توفيق ، ولكن الاحتلال الانجليزى قضى على هذه المحاولة سنة ١٨٨٢ · ومع ذلك ظل شبح حليم يهدد توفيق من بعيد حتى وفاة الاخير سنة ١٨٩٢ ·

كان أعوان حليم من الماسونيين فى مصر ايطاليين وفرنسيين ويهودا فى معظمهم ، وكان من بين انصاره يعقوب صنوع الذى ظل يؤيده فى صحفه العربية فى باريس حتى وفاته ، وكذلك حسن موسى العقاد احد كبار تجار القاهرة الذى نفى عقب فشل الثورة العرابية ، فضلا عن بعض الكتاب والصحفيين الآخرين الذين كانوا يتراوحون بينه وبين توفيق مثل اديب اسحق وسليم النقاش ، بالاضافة الى عدد غير معروف من ضباط الجيش ممن اشتركوا بعد ذلك فى الثورة العرابية ·

وأما الأفغانى الذى طاب له المقام فى مصر ابتداء من ١٨٧١ الى ١٨٧٩ فكان اقرب وأميل الى توفيق ، ولاسيما بعد ان اتفق معه قبل توليه الحكم على اصلاح حال البلاد والحكم بالدستور والبرلمان . ومع ان الأفغانى قضى سنواته الأولى فى تعليم الشباب ، وجمع حلقة واسعة من التلاميذ والمريدين على اختلاف انتماءاتهم وعقائدهم فسرعان ما نزل الى ميدان السياسة التى شغلت الجميع وقتذاك . وشجع على اصدار الصحف ودخول الماسونية . ثم دخل بنفسه الماسونية ، وادخل معه معظم تلاميذه . ولكننا لا ندرى على وجه الدقة هل دخلها قبل ١٨٧٥ أم لا . ولكن دخوله الماسونية لم يكن « لأنه رأى فيها امتدادا حديثا لحركات التطرف الاسلامية القديمة التى اجتذبته بشكل واضح » كما يقول المستشرق ايلى كدورى(٣٦) ، وانما لأنه رأى فيها وسيلة للاصلاح والتغيير ، مثلها مثل الصحافة والخطابة اللتين ارتبط بهما وقت دخوله الماسونية ، ولاسيما بعد تفاقم التدخل الأوربى وسوء أحوال البلاد . ويبدو أنه أعجب بشعار الماسونية الذى رفعته فى ذلك الوقت فى « الحرية والاخاء والمساواة » وهو ذاته شعار الثورة الفرنسية الذى روجته المحافل التابعة لفرنسا فى مصر .

لقد كشفت أوراق الأفغانى الخاصة التى نشرتها جامعة طهران سنة ١٩٦٣ عن بعض المعلومات المهمة الجديدة فى هذا الموضوع . ومنها ورقة سجل فيها الأفغانى مسودة طلب التحاق بأحد المحافل وعليها تاريخ « يوم الخميس ٢٢ ربيع الثانى ١٢٩٢ » (الموافق ٣١ مارس ١٨٧٥) وفيها كتب بخطه الفارسى الجميل :

« يقول مدرس العلوم الفلسفية بمصر المحروسة جمال الدين الكابلى الذى مضى من عمره سبعة وثلاثون سنة بأنى أرجو من اخوان الصفاء ، واستدعى من خلان الوفاء ، أعنى أرباب المجمع المقدس الماسون الذى

هو عن الخال والزال مصون ، أن يمنوا على ويتفضلوا الى بقبولى فى ذلك المجمع المطهر ، وبادخالى فى سلك المنخرطين فى ذلك المنتدى المفتخر » ·

ولكم الفضل

جمال الدين الكابلى(٣٧)

لم يحدد الأفغانى اسم المحفل الذى عناه فى طلبه ، وان كانت الباحثة هوما باكدامان تستنتج من لغة الطلب انه المحفل التابع لفرنسا على اساس ان أول محفل اهلى استخدم العربية كان تابعا لفرنسا وافتتح قبل ذلك التاريخ بقليل(٣٨) ·

ومن الملاحظ فى هذا الطلب ان الأفغانى عرف نفســـــه بانه « مدرس العلوم الفلسفية » ونسب نفسه الى كابول عاصمة افغانستان أما اشارته الى « اخوان الصـــفاء » فيبدو انها هى التى أوحت لكدورى بملاحظته السابقة ، فى حين انها جاءت فى الغالب بقصد اكمال السجع الذى سيطر على صيغة الطلب ، وربما للاشارة الى اسم « الاخوان » الذى كان الماسونيون يحرصون على استخدامه ـ ومازالوا ـ عند الحديث عن جماعتهم ·

هناك ورقة اخرى ضمتها أوراق الأفغانى الخاصة ســـجل عليها عبارة :

« دخلت المحفل فى ١٠ عاشوراء ١٢٩٣ (الموافق ٦ فبراير ١٨٧٦) اثناء اقامتى بمصر »(٣٩) ·

وللمرة الثانية لم يحدد الأفغانى اسم المحفل ولا نوعه ، وان كانت العبارة تشير الى انها جواب طلب التحاقه السابق · ومعنى هذا انه قضى نحو عام فى انتظار قبول عضويته ·

هناك ايضا ١١ خطاب دعوة لحضـــور اجتماعات لمحافل

انجليزية وفرنسية وايطالية ويونانية فى الفترة من ٢٤ يناير ١٨٧٧ الى ٢٣ فبراير ١٨٧٩(٤٠) ويتبين من هذه الدعوات أن عدد المحافل التى شهدتها القاهرة فى تلك الفترة بلغ ٩ محافل . كما يتبين ان الأفغانى اختير رئيسا لمحفل « كوكب الشرق » التابع للمحفل الاكبر الاسكتلندى فى ٢٨ ديسمبر ١٨٧٧ ، وانه أصبح - بسرعة - شخصية مرموقة فى هذه المحافل ، يدعى لحضور جلساتها غير العادية أو لشهود الاحتفال بدخول أعضاء جدد . وربما كان مسموحا بتعدد العضوية فى بعض هذه المحافل .

ويهمنا من هذه الخطابات خطاب معين صادر من محفل كوكب الشرق فى القاهرة بتاريخ ٧ يناير ١٨٧٨ وهذا نصه بعربيته الركيكة :

« الى الأخ جمال الدين محترم

انه لمعلوم لديكم بان فى جلسة ٢٨ الماضى وباغلبية الأراء صار انتخابكم رئيس محترم لهذا اللوج لهذا العام . ولذا قد نهنيكم ونهنى ذواتنا على هذا الحظ العظيم . وعن أمر الرئيس محترم الحالى أدعو اخوتكم للحضور يوم الجمعة القادم ١١ الجارى الساعة ٢ عربى بعد الغروب الى محفل هذا اللوج لأجل استلامكم القادوم بعد اتمام ما يجب من التكريز الاعتيادى . ثم سيصير يوم الخميس ١٠ الجارى الساعة ٦ افرنكى مساء تكريز رئيس محترم لوج كونكورديه . فالرجا حضوركم فى اليوم المذكور للاشتراك فى الاشغال . وفى الحالتين ملابسكم تكون سوداء ورباط الرقبة والكفوف بيضاء . واقبلوا منا العناق الاخوى ... »

كاتب السر
نقولا سكروج

بالرغم من ركاكة هذا الخطاب(٤١) فهو من الوثائق النادرة للماسونية فى ذلك العصر · ولا ندرى شيئا عن أصل موقعه ، فربما كان ايطاليا أو يونانيا ، ولكننا ندرى من الخطاب ــ فضلا عن ركاكته ــ أنه وضع تحت اسم « لوج كوكب الشرق » فى أعلاه رقما هو ١٣٥٥ ، ولعله رقم المحفل في التسلسل الذي يتبعه ، وكان راعيه المحفل الأكبر الاسكتلندى · وندرى أيضا أن التاريخ الذى يعلو الخطاب استخدم ــ فضــلا عن كلمة « لوج » الفرنسـية بمعنى « محفل » ــ كلمة « جنايو » الايطالية بمعنى « يناير » ، والتاريخ الماسونى (٥٨٧٨) تحت التاريخ الميلادى ، فضلا عن استخدام الرمز .·. فى آخر الخطاب ، وهو من رموز الماســــونية وعلاماتها المشهورة ·

وفى تلك الفترة التى انهمك فيها الأفغانى فى نشاطه الماسونى خطرت له ذات يوم فكرة اغتيال الخديو اسماعيل كحل للتخلص من استبداده واســــرافه وبؤس حال العباد · فقد روى محمد عبده للمستشرق المؤرخ الانجليزى ويلفرد بلنت أن الأفغانى اقترح فكرة ضرورة اغتيال الخديو أثناء مروره اليومى بعربته على جسر قصر النيل ، وأنه ــ أى عبده ــ وافقه عليها بحرارة ، وان كان الأمر لم يتجاوز الحديث الخاص بينهما كما قال عبده(٤٢) ·

ذكر محمد عبده لبلنت أيضا أن الضابط لطيف سليم المدرس بالمدرسة الحربية الذى اعتقل بسبب مظاهرة الضباط ضد وزارة « نوبار » الأوربية فى فبراير ١٨٧٩ لم يفرج عنه الا بعد تدخل الماسونيين وتوسطهم لاطلاق سراحه · وكان سليم ماسونيا ومن مريدى الأفغانى وأعضاء محفله(٤٣) · واذا كانت هذه الواقعة هى الوحيدة المسجلة حول نفوذ الماسونية فلاشك أن هناك وقائع أخرى لم يسجلها أحد ·

ولم يكن الأفغانى وحده متحمسا للماسونية ونشاطها · فقد شاركه تلاميذه ، ولاسيما من محررى الصحف · فقد درجت صحيفتا « مصر » و « التجارة » اللتان كان يحررهما أديب اسحق على متابعة اخبار رائدهما وزعيمهما · ومن ذلك ما نشرته « التجارة » فى ٢١ يناير ١٨٧٩ · فقد وصفت احدى الحفلات الماسونية التى خطب فيها الأفغانى بصفته رئيسا للمحفل فقالت عن الحفل :

« انتظم على مائدتها نيف ومائة قائل بالحـرية والاخـاء والمساواة ، معظمهم من وجوه الوطن ونبهائه · وفيهم فئة كبيرة من ذوى المقامات والعلماء من المسلمين وغير المسلمين · فقام فيهم الرئيس المحترم خطيبا ، يبين ماهية ذلك الاجتماع ومقاصد الماسونية وصفق الحاضرون ونادوا بأعلى الصوت : فلتحيا الحرية والمساواة والاخاء · ثم توالت الخطب للسـعى فيما يوجب سعادة النوع الانسانى ، وينقذه من ربقة الذل والعبودية · وتحالفت القلوب على الانتصار للحق والانسانية ، وألا يخافوا فيها أحدا »(٤٤) ·

وقد استمرت صحافة الأفغانى ـ اذا صحت التسمية ـ فى هذه الحماسة للماسونية حتى اعتقاله وترحيله الى الهند · وتروى هذه الحماسة انه اقدم قبل أيام من خلع اسماعيل على تصرف جرىء اثار انقساما بين الماسونيين وانشب معركة حامية بينهم · فقد ذهب بنفسه ومعه سليم نقاش (مدير جريدتى مصر والتجارة) كمترجم الى دار القنصلية الفرنسية ، وطلب مقابلة القنصل (مسيو تريكو) فلما اذن له بالمقـابلة دار حوار بينهما حول الأوضـاع المتردية وضرورة تدخل فرنسا من أجل تنازل اسماعيل لابنه توفيق · وطمأنه القنصل وطالبه بالصبر لان « التنازل صار امرا مقررا وشـيك الحصول » · والتزام الهدوء لان القلاقل قد تعود بالضرر على ولى العهد · ولكن المشكلة بدأت عندما نشرت « مصر » الموضوع فى ٢٧ يونيو ١٨٧٩ ـ بعد تنازل الخديو بالفعل · فقد استهل الافغانى

حديثه مع القنصل بقوله : « لقد أتيت بالأصالة عن نفسى ، وبالنيابة عن الحزب الماسونى والحزب الوطنى الحر المنتشر فى جميع انحاء القطر المصرى »(٤٥) ٠

فى اعقاب نشر موضوع هذه المقابلة الجريئة نشرت صحيفة « الوقت » احتجاجا من خمسة اعضاء فى « محفل كوكب الشرق » او « الكوكب الشرقى » – كما ذكرت الصحيفة – على اقحام الأفغانى الماسونية فى الموضوع ومخالفته قوانينها التى تمنع التدخل فى المسائل السياسية والدينية ٠ وكتبت « التجارة » فى ١٠ يوليو ١٨٧٩ ردا بعنوان « الجمعية الماسونية فى الشرق » بامضاء « اديب » (أديب اسحق) ذكرت فيه ان الماسونية « مأمورة بخدمة الانسانية كيفما كانت الطرق الموصلة اليها » واشارت الى ما يحدث فى الماسونية الأوربية من تدخل فى السياسة ، وفضل ان يحاكم ذلك « العضو الجليل » ، أى الأفغانى ، « فى المحفل الرئاسى بدلا من هتك حرمة الماسونية لدى الرأى العمومى »(٤٦) ٠

واعلنت « التجارة » فى ١٥ يوليو ١٨٧٩ انه تقرر فى « محفل كوكب الشرق السنى الماسونى فى جلسة مساء الجمعة الماضى ان يخطأ الأعضاء الخمسة فى ما تهافتوا على نشره فى جريدة الوقت مما خرجوا به عن حد الصواب والحق وخالفوا القوانين الماسونية »(٤٧) ثم نشرت فى ٥ اغسطس ١٨٧٩ رسالة للافغانى يعقب فيها على ماخاضت فيه الصحف حول ذهابه الى القنصل الفرنسى وقال : « إن المصريين عموما والحزب الحر خصوصا الذى من ضمنه جماعة الماسون من ابناء الوطن قد كانوا غير راضين عن هيئة حكومتهم السابقة ٠ وكانت جميع امانيهم حصر الخلافة الخديوية فى سمو ولى العهد على ولائه ٠ ولأجل ايضاح هذه الأمانى التى من شانها ان تولى الشرف لكل وطنى حقيقى قد كلفت بالذهاب الى سعادة الجنرال المشار اليه »(٤٨) ٠

كانت هذه الكلمة آخر ما نشره الأفغانى بالصحف المصرية ٠ فقد طرد بعد اقل من ثلاثة اسابيع ٠ وقبل أن يعتقل بيومين نشرت « التجارة » فى ٢٢ اغسطس ١٨٧٩ خبرا مؤداه انه « وفد على الجناب المعظم (الخديو) وفد من رؤساء الماسون التابعين لشرق مصر الكبير ٠ وخطب احدهم بين يدى جنابه الكريم »(٤٩) ٠ وكان هؤلاء من انصار الأمير حليم بالطبع ، ولكنهم ماذهبوا ليهنئوا الخديو على توليه الخديوية ، فقد فات أوان التهنئة ، وانما ليتبرأوا أمامه فى الغالب من تصرف الأفغانى واقحامه الماســـونية فى السياسة وتحدثه بلسانها ٠ واذا ربطنا بين هذا كله وبين طرد الأفغانى فمن الممكن القول ان تصرفه الجرىء ساهم بنصيب كبير فى طرده وعجل به ٠

وبعد طرد الأفغانى من مصر تشتت « اخوانه » الماسونيون ، ولم يبق سوى اخوان حليم الذين كان من المحتم عليهم أن يبادروا بالمصالحة مع النظام الجديد ، والا تعرضوا لما تعرض له خصمهم ٠ ومن الواضح أن هؤلاء نجحوا فى مبادرتهم كما يتبين من رسالة الأفغانى الى صـــديقه رئيس الوزراء مصطفى رياض فى أواخر ١٨٨٢ ٠ فقد كشف فى هذه الرسالة عن الصراع العنيف بين انصاره الماسونيين وانصار حليم عقب زيارته للقنصل الفرنسى ٠ وارجع سبب تلك الزيارة الى زيارة أخرى سابقة قام بها الماسونيون « من الافرنج واذيالهم » الى القنصل نفسه ٠ وفيها « بلغوه أن صـــغو (ميل) المصريين مع عبد الحليم باشا وضلعهم معه ، وروعوه من وقوع الفتنة ان عدل عنه الى غيره » ٠ ويستطرد الأفغانى بقوله : « ولما بلغت هذا أسرعت أنا والمعتزون بحب الخديو (توفيق) من حزبى الى القنصـــل فكذبت ما بلغوه ، واظهرت له جلية الأمر ، وكشـــفت القناع عما اضمروه ٠ وقد أعلن كل هذا فى الجرائد الوطنية »(٥٠) ٠

ومعنى هذا فى النهاية أن الماسونيين انقسموا فى أواخر عهد اسماعيل الى فئتين : فئة تسعى الى احلال الأمير حليم محل اسماعيل ، ومعظم هذه الفئة من الأجانب ، وفئة اخرى تسعى الى احلال توفيق ، ومعظمها من الأهالى تحت قيادة الأفغانى . وبالرغم من انتصار الفئة الأخيرة بفعل عوامل أخرى اقوى منها ، أهمها ميل الدول الأوربية والدائنين الى توفيق ، فقد ذهب الأفغانى نفسه ضحية المناورات والدسائس بين الفئتين . وكان طرده خاتمة للصراع والنشاط الدائب بين صفوف الماسونية فى تلك المرحلة ..

لقد أشار الأفغانى بعد سنوات عديدة الى سر خلافه مع الماسونية فى القاهرة خلال تلك المرحلة بوجه عام ، حين صرح لتلميذه محمد المخزومى فى الآستانة بأنه « اكتشف أن الجبن يمكنه أن يدخل بين اسطوانتى المحافل الماسونية » ، وأن شعارات الماسونية استدرجته وجعلته ينضوى تحتها فاذا به يجدها مفعمة بالأنانية وحب الرياسة والأعمال التى تقودها الأهواء . وحذر فى الوقت نفسه من أن الماسونية « ستختنق فى المهد » ان لم تصلح حالها وتعود الى أصولها الصحيحة التى شوقته للعمل تحت لوائها ، مثل الحرية والاخاء والمساواة والسعى وراء دك صروح الظلم وتشييد معالم العدل المطلق على حد تعبيره(٥١) .

وعلى الرغم من هدوء نشاط الماسونيين فى مصر بعد طرد الأفغانى وتشتت تلاميذه حتى دخول الانجليز فى يوليو ١٨٨٢ فمن المنطقى أن يمضوا فى تأييدهم لتوفيق والمصالح الأوربية ، نظرا لأن

أغلبيتهم كانت من الأوربيين ، وأن ينفصل الأهالى الذين كانوا يشكلون أقليتهم على اثر طرد الأفغانى انتظارا لوضوح الموقف . فلما تردت الأوضاع فى الجيش سنة ١٨٨١ ، وسيطر عرابى ورفاقه على الموقف ، كان من الطبيعى أن ينضم القسم الأكبر من هذه الأقلية الى العرابيين ، وهذا ما حدث لتلاميذ الأفغانى ابتداء من محمد عبده الى سعد زغلول . وكان من الطبيعى ايضا ان تؤثر الأغلبية الماسونية الأجنبية الصمت ، او مراقبة الموقف فى صمت ظاهرى على الأقل ، ولكن هذا لايمنع احتمال حدوث اتصالات بين العرابيين والماسونيين من انصار حليم . وفى كلتا الحالتين أنتهت المرحلة كلها بغزو الانجليز .

الفصل الثانى

مرحلة الاستقرار

فى ٢٠ مارس ١٩٠٣ روى المستشرق الانجليزى ويلفرد بلنت ان الشيخ محمد عبده قال له :

« حدثت محاولة لادخال الماســونية مصــر فى اواخر ايام اسماعيل باشا . وكانت جميع المحافل مرتبطة بالمحافل الأوربية . وقد انضم الشيخ جمال الدين الى احدها ، ولكنه سرعان ما اكتشف عدم جدواها فانسحب منها . وكان اسماعيل يشجعها حين بدات متاعبه كى تخدم اهدافه . ولكن الماسونية لم تكن لها قوة فى مصر على الاطلاق »((٥٢) .

ويبدو ان بلنت لم يحاول تقصى تاريخ الماسونية فى مصر ، ولا كان محمد عبده يهمه ان يؤرخ لها . فقــد رأينا كيف دخلت الماسونية مصر قبل عهد اسماعيل ، وكيف حاولت المحافل الأجنبية ـ ذات الأغلبية الأوربية ـ ان تشتغل بالسياسة والمكائد ، وكيف انقسمت فى أواخر عهد اسماعيل بحيث كان قسم منها يؤيده او يؤيد خلافة ابنه توفيق له ، وقسم آخر يؤيد ولاية الأمير حليم .. اما ان الماسونية لم تكن لها فى مصر ـ حتى ذلك الوقت ـ قوة ولا نفوذ فأمر نسبى فى الحقيقة يمكن ان ينطبق على الأقلية المصرية فى المحافل ، ولكنه لا ينطبق على الأغلبية الأوربية فيها . فقد كانت هذه الأغلبية تعمل ـ بطبيعة تركيبها وانتماءاتها ـ لحساب المصالح الأوربية وقناصل أوربا ، على الرغم من شعار عدم التدخل فى الدين أو السياسة الذى ترفعه الماسونية دائما .

لعل رالف بورج نائب القنصل الانجليزى فى مصر كان من انشط واخطر قناصل أوربا فى أواخر عهد اسماعيل وأوائل عهد توفيق والاحتلال ، لا فى السياسة وحدها وانما فى الماسونية ايضا ٠ ولأن المحافل الماسونية تجمع بطبيعتها أناســـا مختلفى الأفكار والمشارب فهى مصدر مهم من مصادر المعلومات ٠ ولذلك كانت من أهم مصادر معلومات بورج ٠ وهذا هو أهم مظاهر القوة أو النفوذ الذى كان للماسونية فى مصر ــ على الأقل ــ خلال مرحلة تأسيسها ثم يأتى بعد ذلك مظهر آخر يتمثل فى حرص أصحابها على رعاية الحاكم لها والاحتماء بالشـــخصيات الكبيرة فى البلد الذى توجد فيه ٠ واذا كانت الماسونية فى بداية مرحلة التأسيس السابقة قد خاب حظها فى الأمير حليم الذى طرده اسماعيل سنة ١٨٦٨ فلم يخب حظها مع اسماعل نفسه ، ولا مع ابنه توفيق من بعده ، ولا مع السلطان ــ الملك فيما بعد ــ احمد فؤاد ، ولا مع كثيرين غير هؤلاء من الشخصيات المرموقة فى مختلف المجالات ٠

واذا كانت مرحلة التأسيس السابقة بدأت بغزو أجنبى فقد بدأت هذه المرحلة ، مرحلة الاستقرار ، بغزو أجنبى أيضا ، ولا تعنينا هذه المصـــادفة ، وانما يعنينا انها ــ فى الحالتين ــ تأكيد لطابع الظاهرة المستوردة الذى اتصفت به الماسونية فى تاريخ مصر الحديث بوجه عام ، وأثر فى حركتها وتطورها عبر هذا التاريخ ٠ ولكننا نلاحظ أن الاحتلال البريطانى كان من أهم عوامل استقرارها فى البلاد ، لا لأنها ــ كما رأينا من قبل ــ صناعة بريطانية وحسب ، وانما لأن كثيرين من قادة الاحتلال كانوا ماسونيين متحمسين على الطريقة الاسكتلندية ٠ ومن هؤلاء الجنرال ولســـلى قائد جيش الاحتلال نفسه ، فضـــلا عن بعض جنرالاته المشهورين مثل سميث وكتشنر وونجت ٠ وشجع هؤلاء وغيرهم كثيرين من ضباط الجيش المصرى على الانضمام الى المحافل الانجليزية ٠

لقد شهدت مرحلة الاستقرار هذه ـ بما توفر لها من دعم الحاكم والمحتل ـ عددا من التطورات الايجابية والسلبية على السواء · واهم التطورات الايجابية اربعة هى :

١ ـ استقطاب الشخصيات الكبيرة والمرموقة ·

٢ ـ احتضان الجاليات الأجنبية والأقليات ·

٣ ـ التوســـع الجغرافى ·

٤ ـ ظهور الكتب والصحف الماسونية ·

ونتوقف الآن للحديث عن هذه التطورات واحدا بعد الآخر ·

اولا : استقطاب الشخصيات الكبيرة والمرموقة :

فى سنة ١٨٨١ تولى منصب الأســـتاذ الأعظم للمحفل الأكبر الوطنى المصرى رجل أوربى لم يحدد أحد جنسيته ، وان كان يظهر من اسمه أنه يونانى ، ويدعى ديوانس اكونوموبولو · وقد استمر فى منصبه حتى سنة ١٨٨٨ · ولكن الماسونية اضمحلت فى عهده « نظرا لضعفه وعدم اقتداره »(٥٢) · ثم عرض الماسونيون المنصب على الخديو توفيق ، اى انهم ارادوا التخلص من زميلهم مقـــابل الظهور بمظهر أكبر وافخم · وتم ذلك عقب اجتماع انتخبوا فيه الخديو استاذا اعظم ، بعد ان كان فى المرحلة السابقة عضوا عاديا· وفور انتخابه ذاك ذهب وفد من المحفل يحمل اليه قرار الرئاسة · وطلب منه الوفد قبول القرار ، « لأنه اذا لم يشد ازرهم آل أمر الماسونية الوطنية الى الاضمحلال » على حد تعبير شاهين مكاريوس بل القى احدهم قصيدة طويلة بين يدى الخديو ، واستهلها باشارات الى شعارات الماسونية قائلا :

الحـــر يدرك بالتـــوفيق ما طلبـــا
وبالمســـــاواة كل يبلـــغ الاربـا

وبالاخـــاء رخـــاء العيش مقـــترن
تربو رباه اذا عهـــد الاخـــــاء ربا

وما المســـاواة الا العدل وهو على
مصـــر بتوفيق مدت روحه طنبـــا

ووافق توفيق على اختياره استاذا اعظم · ووعد بشد أزر الماسونيين ، ولكنه اعتذر عن عدم حضور اجتماعاتهم ، واناب عنه وزير الحقانية (العدل) حسين فخرى (باشا)(٥٤) · أما الشاعر صاحب الأبيات السابقة فكان حفنى ناصف ·

ظل الماســـونيون يقدرون هذا الجميل حتى توفى توفيق فى ٧ يناير ١٨٩٢ · وحين خرجت جنازته فى اليوم التالى من قصر عابدين « كان من الهيئات المشيعة جماعة الماسونيين »(٥٥) · بل ان المحافل اعلنت الحداد « على رئيس الشرف الأعظم الأبدى لها مدة سبعة شهور »(٥٦) أما كونه « رئيس شرف » فذلك نتيجة تغير حدث قبل وفاته بنحو عام · اذ تخلى عن منصبه ، واكتفى بالرئاسة الشرفية ، وحل محله فى ٢٣ يناير ١٨٩١ رجل مصرى هذه المرّة انتخب استاذا اعظم ، ولعب دورا خطيرا فى الحركة الماسونية بعد ذلك ، وهو ادريس راغب (بك) ·

وكان راغب (ولد سنة ١٨٦٢) قاضيا بالمحاكم الأهلية وقتها · وهو نفسه ابن اســـماعيل راغب (باشا) الوزير ورئيس مجلس شورى النواب فى عهد اسماعيل ، ثم رئيس الوزراء فى عهد توفيق وقت احتلال مصر · وهو من اصل يونانى ، جمع فى حياته ثروة كبيرة تركها لابنه ادريس الذى انفقها بسخاء على الماسونية منذ

توليه منصب الأستاذ الأعظم • فقد قام بتسديد ديون المحفل الأكبر فور توليه ، وأنشأ « محفلا أكبر لدرجة الأساتذة العلميين » وعندما عين فى سنة ١٨٩٥ مديرا لمديرية القليوبية أنشأ فى عاصـــمتها (بنها) محفلا باسمها • وفى عهد أستاذيته ازداد عدد المحافل حتى بلغ ٥٤ محفلا ، منها اثنان باسمه (محفل ادريس رقم ٤٢ ومحفل راغب رقم ٥) • كما أنشأ صحيفة تنطق باسم الماسونية(٥٧) • بل أنشأ ــ خارج المجال الماسونى ــ حزبا سياسيا صـــغيرا ســماه « الحزب الدستورى » كان يدعو الى التمييز الطبقى ، ولا يعتد بالحياة النيابية ، مقابل الولاء الكامل للسلطة(٥٨) •

لم يكن ادريس راغب ــ كما هو واضح ــ شخصية كبيرة ولا مرموقة ، ومع ذلك ظل يشغل منصب الأستاذ الأعظم حتى سنة ١٩٢٢ • ويبدو أن أمواله لعبت دورا ايجابيا فى بقائه طوال ثلث قرن تقريبا على رأس « السلطة » الماسونية كما سميت فى ذلك الوقت • وقد حل محله فى ذلك العام الأمير محمد على توفيق ولى العهد الذى خلف اباه فى المنصب الشرقى السابق • ولكن محمد على لم يستمر طويلا • فقد اســــتقال سنة ١٩٢٧ بدعوى « رغبته فى الاخلاد الى الهدوء والراحة ، واعتلال صحته ، وعدم قدرته على الحضور فى دار المحفل الأكبر ليلا ، وكثرة أسفاره »(٥٩) وخلفه فى منصبه رجل ثرى آخر يدعى محمود فهمى قطرى (باشا) تولى منصب « الأستاذ الأعظم » سنة ١٩٢٨ لمدة عامين تقريبا • ثم خلفه محمد رفاعة (بك) ، فأحمد ماهر (باشا) •

ولم يكن هؤلاء وغيرهم هم كل الشخصيات الكبيرة والمرموقة التى استقطبتها الماسونية • فقد ظهرت أسماء أخرى ألمع وأقوى فى صحف الماسونية وكتبها ونشراتها على مدى هذه المرحلة • ففى عشريات هذا القرن نجد ولى الدين يكن وابراهيم اليازجى وخليل

مطران وحفنى ناصف واسماعيل صبرى واحمد فتحى زغلول من الأدباء والشعراء والمثقفين • كما نجد سعد زغلول وعدلى يكن وعبد الخالق ثروت من السياسيين • وفى عشرينات القرن يستمر ظهور معظم هذه الأسماء مضافا اليها محمود رمزى نظيم واحمد زكى أبو شادى من الأدباء ، وعمر سعيد حليم وسعيد محمد على حليم وسعيد داود من الأمراء والنبلاء ، وعلى شعراوى ومحمد حافظ رمضان وفؤاد اباظة من السياسيين ، والشيخ حسن مامون من رجال الدين ، واللواءان على شوقى ومحمد فهمى المتينى من ضباط الجيش • وفى الثلاثينات تستمر معظم هذه الأسماء وتستجد عليها أسماء أخرى ، مثل حسين شفيق المصـــرى من الأدباء ، ويوسف وهبى من الفنانين ، واحمد ماهر من السياسيين ، ومحمود رسمى (رائد) ومختار زاهر (نقيب) من ضباط الجيش • وفى الأربعينات تكاد الصحف والكتب والنشـــرات الماسونية تختفى . ولا يظهر للنشاط الماسونى اثر ملموس ، ولكن تستمر بعض الأسماء السابقة فى الظهور ، ويستجد عليها رجال مثل محمد رفعت من كبار موظفى الدولة ، والشيخ محمد أبو زهرة من رجال الدين ، واحمد غلوش من الأطباء ، وفؤاد سراج الدين من السياسيين •

تظهر شخصية سعد زغلول كأهم الشخصيات التى اهتمت بها الماسونية حتى وفاته سنة ١٩٢٧ • ففى سنة ١٩٢١ وضـــعت « المجلة الماسونية » صورته على أولى صفحاتها بعنوان « مشاهير رجال الماسون » وكتبت تحتها : « حضرة صاحب المعالى الأخ فائق الاحترام سعد زغلول باشا نائب أستاذ أعظم شرف بالمحفل الأكبر الوطنى المصرى »(٦٠) • وفى سنة ١٩٢٢ نشرت المجلة ذاتها نداء الى جميع السلطات الماسونية العظمى فى العالم تحتج فيه « على ما أصاب الحرية فى شخص أحد أبنائها وصفوة رجالها الأخ فائق الاحترام سعد زغلول باشا زعيم الحرية المصرية ورفاقه الأحرار »

الذين نفتهم السلطة العسكرية الانجليزية الى جزيرة سيشيل ، فالمحفل الأكبر الوطني المصري يشارك الأمة المصرية في عواطفها واحتجاجها . ويتوسل بحق العهود الماسونية الى جميع الشروق العظمى والمحافل الكبرى الماسونية على العموم والمحفل الأكبر الانجليزي على الخصوص أن يعملوا على الغاء الأوامر التي قضت بنفي الأخ الفائق الاحترام سعد زغلول باشا ورفاقه ، والكف عن استعمال القسوة التي اتخذتها السلطة العسكرية الانكليزية ضد الشعب المصري الهادىء الأعزل »(٦١) .

ومن الواضح ان هذا النداء الاحتجاجي كان خروجا على مبادىء الماسونية التي تقضي بعدم التدخل في شؤون الدين والسياسة . ومع ذلك مضت الصحف الماسونية في ذلك التدخل عن طريق المحفل الأكبر الوطني المصري . ففي ابريل من ذلك العام ارسل المحفل الأكبر الى الملك فؤاد برقية يناشده فيها العمل على اطلاق سراح سعد زغلول ورفاقه المنفيين(٦٢) . وفي يونيو ١٩٢٤ استنكرت مجلة « الميثاق » محاولة الاعتداء على « الأخ كلي الاحترام سعد زغلول » بعد عودته من المنفى(٦٣) . ولما مات سعد زغلول بعد نحو ثلاث سنوات طلب الى المحافل الماسونية « ان تستعمل في مكاتباتها أوراقا مجللة بالسواد ، وتلبس الحداد ، وان يضع جميع الموظفين ورودا سوداء على أوشحتهم ومآزرهم مدة سبعة أسابيع . واقيمت حفلة جناز لذكرى الزعيم المحبوب »(٦٤) .

لم يكن سعد زغلول — على اي حال — عضــوا عاملا في الماسونية ، وانما كان منصبه (نائب أستاذ أعظم) شــرفيا ، يلي منصب الأمير محمد علي (الأستاذ الأعظم) الشرفي أيضا حتى سنة ١٩٢٢ . ومع ذلك حظي سعد زغلول بكل هذا التقدير في الوقت الذي لم يحظ فيه زميله عبد الخالق ثروت (باشا) بتقدير مماثل حتى عند وفاته في سبتمبر ١٩٢٨ . فقد اعلن رئيس المحفل الأكبر

وقتذاك (محمود فهمى قطرى) أن الماسونية فجعت « بوفاة حضرة الأخ المغفور له صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا » وأوقف أعمال الجلسة التالية للوفاة « عشر دقائق حدادا ثم قرر ارســـال برقية عزاء الى أسرته الكريمة »(٦٥) وكان ثروت بدرجة « منبه أعظم شرف » ، أى أنه لم يكن ماسونيا عاملا ايضا ·

ومن الواضح أن استقطاب الماسونية لمثل هذه الشخصيات الكبيرة أو المرموقة قد ساعدها على الاستقرار ، والظهور بمظهر الأهمية ، والدعاية فى الأوساط غير الماسونية ، والتوسع الجغرافى داخل البلاد ·

ثانيا : احتضان الجاليات الاجنبية والاقليات :

اذا كانت الماسونية ـ كما رأينا ـ ظاهرة وافدة على أيدى الجاليات الأجنبية ، فمن الطبيعى أن تحتضن أبناء هذه الجاليات فضلا عن أبناء الأقليات المســـتوطنة · ولكن من الملاحظ فى هذه المرحلة ، مرحلة الاستقرار ، أن أبرز هذه الجاليات والأقليات التى وجدت الرعاية والتشجيع من الماســـونية ، هى الأقلية الشـــامية المسيحية المهاجرة والأقلية اليهودية المســـتوطنة · وفى الوقت ذاته وجدت الماسونية فى هذه وتلك كل عون وتشجيع ، ولاسيما فى مجال الاعلام ·

(أ) الأقلية الشـــامية المســـيحية :

شهدت مصر ، فى أعقاب استقرار الاحتلال الانجليزى ، موجة جديدة من المهاجرين المثقفين الشاميين · وتصادف أن كان معظم هؤلاء من لبنان ، ومن خريجى أو دارسى الكلية السورية الأمريكية · كما تصادف أن « معظمهم كان من أعضاء جمعية شمس البر التى

وصفها الأب لويس شيخو بأنها جمعية ماسونية »(٦٦) وكان من أعضائها المؤسسين شاهين مكاريوس ويعقوب صروف ، ومن أعضائها الفخريين فارس نمر . وكان ثلاثتهم يصدرون في بيروت مجلة « المقتطف » الزراعية الصناعية العلمية منذ سنة ١٨٧٦ .
ولكن يبدو ان غياب حرية التعبير في الشام ، في ذلك الوقت ، اثر في حرية المعتقدات ، وان الماسونية كانت تعاني — هناك — نوعا من الاضطهاد الشعبي اذا صح التعبير . فقد ذكر جرجي زيدان ان اول محفل ماسوني في بيروت تأسس سنة ١٨٦٢ ثم تلاه آخر سنة ١٨٦٩ ، ولكن الكنيسة الجزويتية قاومت الفكرة الماسونية منذ البداية حتى اصبح اسم « الماسون » عند العامة « مرادفا لأدنى صفات الاحتقار ، فكانوا اذا أرادوا المبالغة في وصف احد الكفرة او المنافقين لا يجدون انسب من قولهم « فارماسون » للافادة عما في ضميرهم ، فهي عندهم مرادفة لقولنا كافر منافق مختلس ، وما شاكل »(٦٧) وذكر شاهين مكاريوس ان سمعة الماسونية كانت سيئة الى درجة تشاتم الأهالي باسمها ، فيقول الواحد للآخر يا ابن الفرمسوني . وعندئذ تثور ثائرة المشتوم فيمسك بخناق صاحبه ويصيح : ياناس اشهدوا ، يشتمني ويقول : يا ابن الفرمسوني . انت فرمسوني وكل اهلك فرمسون »(٦٨) .

ولكن مصر لم تكن تعرف في ذلك الوقت اى عداء رسمي او شعبي من هذا النوع . ولهذا قصدها هؤلاء وغيرهم بحثا عن حرية الراى والاجتماع والتعبير . ففي سنة ١٨٨٤ جاء ثالوث صروف ونمر ومكاريوس الى القاهرة ، وتابعوا اصدار « المقتطف » منها . وسرعان مالحق بهم جرجي زيدان وعدد آخر من الكتاب والصحفيين من بينهم ابراهيم اليازجي وخليل مطران وملحم شكور ونعوم شقير وجبر ضومط وفيلكس فارس على التوالي . ولم تمض سنوات قلائل حتى كان الثالوث السابق — بصفة خاصة — قد دعم صلته بسلطات

الاحتلال · بل ان فارس نمر (١٨٥٧ ــ ١٩٥١) تزوج ابنة القنصل الانجليزى فى مصر سابقا ، ثم زوج ابنته ــ فيما بعد ــ الى السكرتير الشرقى للسفارة الانجليزية · وعن طريق تعاونهم مع الانجليز اصدر شاهين مكاريوس (١٨٥٣ ــ ١٩١٠) مجلته « اللطائف » سنة ١٨٨٦ ، التى استمرت فى الصدور حتى وفاته · وأصدر فارس نمر صحيفته « المقطم » سنة ١٨٨٨ التى استمرت فى الصدور حتى أواخر ١٩٥٢ واستقل يعقوب صروف (١٨٥٨ ١٩٢٧) بمجلة« المقتطف» التى استمرت فى الصدور الى أواخر ١٩٥٢ ايضا وكانت مطبعة « المقتطف » التى ادارها مكاريوس تطبع المجلتين والصحيفة فى البداية ، فضلا عن المطبوعات الحكومية والاعلانات القضائية التى تتلقاها من السلطة ، وتقارير اللورد كرومر (المعتمد البريطانى) السنوية لحكومته عن مصر · وكانت مجلة « المقتطف » تترجم هذه التقارير الى العربية والفرنسية وتوزعها على مشتركيها ·

كانت مطبعة « المقتطف » ــ كما سنلاحظ فى الببليوجرافيا الملحقة ــ مصدر طبع العديد من الكتب والنشرات الماسونية · ومن اهم هذه الكتب نحو عشرة مؤلفات لشاهين مكاريوس وادريس راغب ، فضلا عن مجلة « اللطائف » التى جعلها مكاريوس منبرا بارزا للماسونية ، ومجلة « المقتطف » التى كانت اول مجلة عربية فتحت صفحاتها للماسونية تعريفا وتبشيرا ابتداء من سنة ١٨٨٤ ، وجريدة « المقطم » التى اتاحت للماسونية نافذة جماهيرية يومية واسعة ·

واذا كان جرجى زيدان اكتفى بكتابه الوحيد الذى سبقت الاشارة اليه ، وهو اول كتاب بالعربية عن الماسونية ، فلم يكتف شاهين مكاريوس بكتبه السبعة التى نشرها فى القاهرة عن الماسونية ، ولكنه كان من انشط ــ ان لم يكن انشط ــ عناصر الدعاية لها ، لا على المستوى النظرى فى التاليف والكتابة وحسب ، وانما

على المستوى العملى أيضا ، أى على مستوى المحافل العديدة التى انضم اليها أو أسسها . واذا كانت « المقتطف » عالجت الماسونية بطريقة معتدلة الى حد ما ـ كما سنرى ـ فقد كانت مجلة « اللطائف » على النقيض من هذا تمـــاما . فهى « أول مجلة جاهرت بالتعاليم السرية الماسونية فى القطر المصرى » على حد تعبير قسطاكى الحلبى أحد مؤرخى الصحافة العربية(٦٩) . بل ان صاحبها ومحـــررها مكاريوس أنشأ محفلا باسمها ، وصـــفه بقوله انه « جمعية أدبية شريفة المقاصد لا تتعرض لدين ولا لسياسة ، فهى تضم من المسلمين والمسيحيين واليهود الجم الغفير من أبناء المشرق »(٧٠) ومع ذلك دخلت المجلة سنة ١٨٨٨ فى معركة حادة مع اليسوعيين (الجيزوويت) والبت عليهم الحكومة . وكان مما نشرته فى تعريف « الحرية » قولها انها « لفظ لم نسمع به مســـتعملا فى معناه المتعارف الآن (١٨٩١) الا منذ وجود هيئة الماسونية فى مصر »(٧١) ولعل هذا كاف للدلالة على تحمس المجلة وصاحبها للماســـونية دون أى اعتدال .

غير أن « اللطائف » ، مجلة ومحفلا ، لم تكن كافية ـ فيما يبدو ـ لاســـتيعاب حماسة مكاريوس . فقد ألف ستة كتب تحمل عناوينها ـ كما سنرى فى الببليوجرافيا ـ مضمونا دعائيا صارخا ، فضلا عن كتاب سابع مترجم قام بطبعه وتقديمه بعنوان « تاريخ الماسونية القديمة وآثارها » وفيه أضاف فصلا عن تاريخها فى مصر لم يزد شيئا عما ذكره زيدان من قبل ، سوى تمجيد ادريس راغب والدعاية له . وذكر فى مقدمة هذا الكتاب انه انضم الى الماسونية سنة ١٨٧٣ فى بيروت . وأورد على غلافه بيانا طريفا بمكانته ومناصبه فى الماسونية ، هذا نصه بعد عبارة « عنى بطبعه شاهين بك مكاريوس » :

« رئيس أعظم شرف مقام العقد الملوكى بالينويس فى الولايات المتحدة الأمريكية ، ورئيس ثالث أعظم مقام العقد الملوكى الأكبر بمصر ، وعضـو شـرف فى جمعية أبطال الماسونية القدماء ، وعضو شرف فى كل من محفـل اللولو بأمريكا ، ومحفل سلتك الأمريكى ، ومحفل سليمان الملوكى بالقدس ، ومحفل الثبات ، ومحفل الصفا بمصر ، ومحفل سورية فى بيروت ، ومحفل اسـكله سليمان بيافا ، ومحفل بنى سويف ، ومقام كوكب الشرق الانكليزى ، ومجمع الكرنك الفرنسوى لدرجة ١٨ ، ومنبه أول شرف بالمحفل الأكبر الوطنى المصرى ، ومنبه أول الشرق الأكبر المصرى ، ورئيس ومؤسس محفل اللطائف ومقام اللطائف ، ومحفل فينيقية ، ومحفل بدر حلوان ، ومحفل بدر حلوان الكمالى ، ورئيس ومؤسس محفل مكاريوس لدرجة الأساتذة المعلمين (المارك) ومحفل المقطم ، وعضو محفل الاخلاص (المارك) ومحفل الحكمة . وأستاذ شرف المحفل الأكبر بفلادلفيا ، وحائز لدرجة النخل والصدف ودرجة ٣٣ وغيرهما » .

ومع ذلك ، غلبت الحماسة فى هذه المؤلفات ـ كما فى هذا البيان ـ على الموضوعية ، وسيطرت الدعوة على الداعية وحب الظهور على التواضع ، حتى تحول الرجل ـ بمفرده ـ الى مؤسسة ماسونية كبرى كما رأينا فى قائمة نشـاطه المذكورة على غلاف الكتاب السابق .

اذا كان مكاريوس على هذا النحو من التباهى بقدراته ونشاطه فقد كان فارس نمر وصروف أقل تباهيا وحماسة . فقد اختير نمر رئيس شرف لمحفل الثبات ـ الذى كان مكاريوس من أعضائه ـ بالقاهرة . ولم يعرف عن صروف أنه انضم الى محفل معين . وان كان قد بذل نشاطا فى الكتابة عن الماسونية فى « المقتطف » . ومع

ذلك وقع مكاريوس وصروف عام ١٩٠٩ فى معركة طويلة مع الأب لويس شيخو اليسوعى (١٨٥٩ ـ ١٩٢٧) الذى دأب على مهاجمة « المقتطف » وأصحابها فى مجلته البيروتية « المشرق » منذ صدورها سنة ١٨٩٨ حتى وفاته . فقد تناول شيخو الدعوة الى الماسونية فى مجموعها بالنقد الحاد فى سلسلة من المقالات بعنوان « السر المصون فى شيعة الفرمصون » وفى هذه السلسلة الفريدة من نوعها راح الرجل ينقب فى مؤلفات الماسونيين الفرنسية والعربية ليدلل على عدائها للمسيحية . ولم يدع أصحاب المقتطف واللطائف والمقطم والهلال وغيرهم من الماسونيين الشوام المهاجرين دون التدليل على ضعف حججهم ، ومعارضة الماسونية للدين ومناهضتها للسلطة الشرعية . ويمكن أن نعد هذه السلسلة أول هجوم منظم بالعربية على الماسونية ، بالرغم من سياسة الصمت التى اتخذها ـ ازاءها ـ مكاريوس وصروف ونمر وزيدان .

وقد كشفت هذه المعركة فى النهاية عن رسالة بعث بها صروف الى شيخو كنوع من طلب الهدنة . وهذه الرسالة لم تنشر بالعربية من قبل ، ولكن المستشرق الاسرائيلى س . موريه نشر ترجمة لبعضها بالانجليزية فى كتابه « الشعر العربى الحديث » ، وروى أن الدكتور توماس فيليب بمركز دراسات الشرق الأدنى بجامعة كاليفورنيا أعطاه نسخة مصورة لها .

فى هذه الرسالة المؤرخة فى ١٤ يونيو ١٩١١ كتب صروف من القاهرة يعترف بأنه انضم الى الماسونية لمدة عشر سنوات (١٨٧٦ ـ ١٨٨٦) ويخطىء شيخو فى قوله ان الماسونية تناقض المسيحية . ثم يضيف :

« انها ـ على العكس ـ تؤلف بين قلوب المسيحيين والمسلمين وتجعل المسلمين يحترمون الديانة المسيحية » .

ومع أن موريه لم ينشر النص الكامل للرسالة ، ومع اننا لا ندرى شيئا عن ظروفها ، فان السطرين السابقين يكشفان عن تفكير الأقلية الشامية المسيحية فى مجتمع مسلم الأغلبية مثل مصر ، ويؤكدان ما سبق ان قلناه من أن الماسونية تجتذب الأقلية عادة ، ايا كانت ديانتها ٠ فصروف المسيحى فى بلد اغلبيته مسلمة مثل مصر يسعى الى الماسونية لأنه يعتقد انها تفرض على الأغلبية احترامه او حمايته ٠ وهذا ما يؤكد حرص الماسونية ايضا على الاحتماء برجال الحكم واقطابه ٠ ومع ذلك يبدو أن المسألة كانت ـ كما قلنا ـ طلبا للهدنة وايقاف المعركة ، لأن صروف لم يكن بحاجة الى هذا النوع من التبرير وقتها فى ظل استقراره ونجاح مجلته ٠

غير ان هذا الحماس الشديد الذى ابداه المهاجرون الشوام المسيحيون نحو الماسونية لم يستمر طويلا ٠ فبعد وفاة مكاريوس سنة ١٩١٠ خف الحماس كثيرا ٠ وبعد وفاة صروف سنة ١٩٢٧ ازداد الحماس فتورا ٠ ولكن الماسونية ذاتها كانت قد استقرت ولم تعد بحاجة كبيرة الى الدعاية بعد العقود الثلاثة الأولى من مرحلة الاستقرار هذه ، أى منذ ١٨٨٢ الى ١٩١٢ تقريبا ٠ ومع ذلك ، ليس من اليسير التقليل من الدور الدعائى للماسونية الذى لعبه كتاب الجالية الشامية المسيحية وصحفيوها خلال هذه العقود الثلاثة على الأقل ٠ واذا عدنا الى قائمة الصحف المدرجة فى البيليوجرافيا فسوف نجد أن عدد الصحف التى اهتمت بالماسونية يبلغ عشر صحف ، منها خمس كان يملكها ويحررها شاميون مسيحيون ، فى حين أن عدد الصحف التى تخصصت فى الماسونية يبلغ سبع صحف ، لم يكن منها سوى صحيفة واحدة لأبناء تلك الأقلية مقابل ثلاث صحف لأبناء الأقلية اليهودية ٠

(ب) الأقلية اليهودية :

يمكن القول – دون الدخول فى تفصيلات كثيرة – ان مرحلة استقرار الماسونية هذه (١٨٨٢ – ١٩٤٨) كانت تمثل فى الوقت ذاته العصر الذهبى لليهود فى تاريخ مصر الحديث . وقد اتاح لهم الاحتلال البريطانى – كما اتاح للماسونية – الكثير من فرص النمو والازدهار . وكان اظهر رد فعل لذلك هو التزايد المستمر فى هجراتهم الى مصر .

لقد كان اليهود اقلية مستوطنة فى مصر طوال التاريخ القديم والحديث ، ولكن عددهم بدأ فى الزيادة المستمرة فى أعقاب الاحتلال البريطانى . فقد بلغ عددهم سنة ١٨٨٢ نحو ٢٠ الفا ، ثم بدأ هذا العدد فى الارتفاع – بالهجرة لا بالتكاثر وحده – من ٥٢٠٠٠ سنة ١٨٩٧ ، الى ٣٨٦٣٥ سنة ١٩٠٧ ، الى ٥٩١٤٨ سنة ١٩١٧ ، الى ٦٢٥٥٠ سنة ١٩٢٧ ، حتى وصل الى ٦٤٤٨٤ سنة ١٩٤٧ . ومن الواضح فى هذه الأرقام أن عدد اليهود لم يتوقف عن الزيادة غير الطبيعية ، وان كانت الزيادة الأخيرة محدودة . وسبب ذلك هجرة كثيرين منهم الى فلسطين وغيرها حتى قبل ١٩٤٧ . وقد رافق هذه الزيادة المستمرة ازدياد واضح فى حجم الأسر الكبيرة وأموالها ونفوذها من جهة ، وازدياد فى حجم الوضع اليهودى فى الماسونية من جهة اخرى .

وقد وجد اليهود فى الماسونية ما وجده فيها المسيحيون الشوام : مظلة للحماية ، ووسيلة لاكتساب عطف الأغلبية واحترامها فضلا عن كونها مجالا خصبا للعلاقات العامة التى لا تتيسر المصالح بدونها . بل انهم نجحوا فى سنة ١٩٢٢ فى تحويل الماسونية الى اداة لخدمة الصهيونية واحلام الوطن القومى فى فلسطين كما سنرى بعد ذلك .

واذا كانت الأقلية الشامية المسيحية برزت فى مجال الدعاية والاعلام للماسونية فقد برزت الأقلية اليهودية فى هذا المجال أيضا . وكانت جهودها تالية من ناحية الكم لجهود الاقلية الشامية المسيحية ، ولكنها كانت اكثر منها تركيزا وتفوقا فى مجال المحافل ، اى المجال العملى للماسونية . فقد اصدر اليهود ثلاث صحف متخصصة فى الماسونية ، وهى : « المجلة الماسونية » التى أصدرها فى الاسكندرية يوسف لقلوفه سنة ١٩٠١ ، مجلة « الاخاء » التى اصدرها فى القاهرة رحمين فرجون سنة ١٩٠٦ ، مجلة « الأخبار الماسونية » التى أصدرها فى القاهرة ايضا موسى جرونشتين (مع اسكندر فرج والبير بزيات) سنة ١٩٢١ . ومع ذلك كانت هذه الصحف الثلاث قصيرة العمر بوجه عام كما سنرى عند الحديث عن الكتب والصحف الماسونية .

لم يكن اليهود اقل نشاطا وحماسة فى المحافل ايضا . فقد ترددت اسماؤهم كثيرا فى أخبار المحافل ونشاطها فى الصحف والنشرات الماسونية ، ولاسيما فى العشرينات . ومن هذه الأسماء ناثان سوسان سكرتير محفل « الايمانسيباسيون » (كلمة فرنسية بمعنى التحرر) بالاسكندرية سنة ١٩٠٣(٧٣) ، وموسى جرونشتين مؤسس ورئيس محفل اسكندر الأكبر فى القاهرة حتى وفاته فى مارس ١٩٢١ ، وموسى مصلياح رئيس محفل فؤاد رقم ٢٢٠ بالقاهرة سنة ١٩٢١(٧٤) ، وايلى عقرب مساعد خزان أعظم وشاؤول عقيرب مساعد حامل علم أعظم بالمحفل الأكبر بالقاهرة سنة ١٩٢١ ، وسلمون جولدشتين أمين خزينة أعظم والبرت بزيات مرشد أول أعظم بالمحفل الأكبر بالقاهرة سنة ١٩٢٢ (الأخير هو نفسه شريك جرونشتين فى تأسيس مجلة « الأخبار الماسونية »(٧٥) ، وعزرا نحماد وايلى ليفى وادموند ميلى وصمول دافاس وعزرا شاوول وليناردوا وس . س . فروجيه موظفون وضباط عظام بالمحفل الأكبر سنة ١٩٢٣/٢٤(٧٦) .

وتكشف قائمة المحافل واساتذتها العظام لسنة ١٩٢٨ عن وجود ٥٢ محفلا تحت لواء المحفل الأكبر الوطنى المصرى فى تلك السنة ، منها محفل « احيقام » الذى جعل العبرية لغته ، فضلا عن ٨ محافل تشغل الأسماء اليهودية مناصب الأساتذة العظام فيها (فيكتور موديانو وليون ستاراسلسكى ويوسف شحاته هرارى وليون محرز فى القاهرة ، ايلى حتويل وهوجز موسو وسابينو كاليا فى الاسكندرية ، مايز دنكور فى السويس) ، فى حين شغل المسيحيون الأقباط ٣ مناصب مقابل لاشىء للمسيحيين الشوام ، ٢٤ للمسلمين ، ١٧ لليونانيين وغيرهم من الأوربيين • أى ان الوجود اليهودى فى الاعلام والمحافل لم يكن عابرا أو محدودا فى تلك الفترة •

ثالثا : التوسع الجغرافى :

كان من نتائج استقرار الماسونية فى هذه المرحلة انها بدأت فى النمو والتوسع داخل مصر وخارجها • واذا كان التوسع الداخلى طبيعيا لازدياد الاقبال على المحافل فقد كان التوسع الخارجى تطورا غير مسبوق •

(أ) فى الداخل :

يتبين من متابعة الصحف الماسونية المتخصصة أن عدد المحافل اخذ فى الازدياد المستمر طوال الثلث الأول من هذا القرن • ففى سنة ١٩٠٣ بلغ عدد المحافل ٤١ محفلا • ولم تقتصر هذه المحافل على المدن المصرية الكبرى مثل القاهرة والاسكندرية وبورسعيد وطنطا ، وانما تعدتها الى المدن الصغرى مثل السنبلاوين • وبنها والابراهيمية(٧٨) • وفى سنة ١٩٠٧ بلغ عدد المحافل ٤٢ محفلا ، أى بزيادة محفل واحد ، وكان اكثرها فى القاهرة والاسكندرية • ولكنها دخلت مدنا أخرى لم تعرفها من قبل مثل ميت غمر • وكان

تقسيمها الجغرافى كالآتى : ٣٢ فى القاهرة ٥ فى الاسكندرية ، ٢ فى طنطا ، محفل واحد فى كل من المنصورة والزقازيق وميت غمر(٧٩) وفى سنة ١٩٢١ بلغ عدد المحافل التابعة للمحفل الأكبر الوطنى المصرى وحده ٢٩ محفلا · وبلغت ايرادات هذا المحفل فى المدة من يناير الى يونيو ١٩٢١ نحو ٣٨٧٢ر٩٤٦ جنيها ، وبلغ رصيده ٣٠١١ر٤١٨ جنيها(٨٠) وفى سنة ١٩٢٤ بلغ عدد المحافل المصرية العاملة التابعة لسلطات (ماسونية) معروفة لدى المحفل الأكبر فى القاهرة والاسـكندرية وطنطا ، والخرطوم وعطبره والسويس والمنصورة نحو ٢٥ محفلا(٨١) · وفى سنة ١٩٢٧ بلغ عدد المحافل التابعة للمحفل الأكبر ٥٩ محفلا ، وبلغ عدد اعضائها ٦٥٠٠ عضو(٨٢) · وفى سنة ١٩٢٩ بلغ عدد المحافل التابعة للمحفل الأكبر ٥٢ محفلا · وكان توزيعها كالآتى : ٢٦ فى القاهرة ١٣ فى الاسكندرية ، ٢ فى كل من بورسعيد والسويس والاسماعيلية والمنصورة وكفر الزيات ، محفل واحد فى كل من بنها وطنطا ودمنهور(٨٣) ·

ومن الواضح فى هذه الأرقام انها مالت الى عدم الاستقرار بشكل عام بالرغم من ارتفاعها المستمر تقريبا ، وأن بيان المدن التى عرفت هذه المحافل يدل على أن حركة المحافل ـ بالنقص أو الزيادة ـ كانت تتبع حركة اسـتقرار الأقليات والجاليات الأجنبية فى هذه المدن · ولكن يبدو من ارقام الأعضاء سنة ١٩٢٧ أن هذه المحافل لم تكن مزدحمة ، ولا كانت عضويتها ساحقة ، وأن الانضمام لها كان أشبه بالانضمام الى الأندية الاجتماعية المحدودة · بل ان هذا العدد ذاته لايتناسب مع الدعاية التى بذلتها المحافل وانصارها · ولكن المسألة ـ كما هى دائما فى الماسونية ـ ليست مسألة كم · فالأعضاء يختارون بعناية ، والمصالح التى تربطهم لابد أن تكون قـوية ·

(ب) فى الخــــــارج :

لم يعرف عن الماسونية المصرية انها تخطت حدود البلاد قبل سنة ١٨٩١ ، بحيث يصبح لها رعايا من المحافل خارج مصر ٠٠ ولكن حدث أن حصل شاهين مكاريوس على رخصة من المحفل الأكبر الوطنى المصرى لتأسيس محفل تابع له فى بيروت فى ذلك العام (١٨٩١) تحت اسم « محفل فينيقية » ، وان كان الوالى العثمانى اغلقه بعد قليل بامر من الســـلطان عبد الحميد(٨٤) ٠ وبعـــدها تأسست بعض المحافل فى انحاء متفرقة من الشام (سوريا ولبنان وفلسطين) ٠ وازداد عدد هذه المحافل مع الزمن ، حتى أن المحفل الأكبر فى مصر قرر فى جلسة ٤ ابريل ١٩٢٨ تسمية المحفل الأكبر لســوريا وفلســطين باســم « المحفل الأكبر الاقليمى لســوريا ولبنان »(٨٥) وفى ذلك العام بلغت المحافل التابعة للمحفل الأكبر المصرى ١٧ محفلا خارج مصر (راجع الملاحق) ، منها ١٠ محافل فى فلسطين ، ٥ فى لبنان ، محفل واحد فى كل من دمشق والبصرة وكانت سبعة محافل من العشرة التى فى فلسطين تحت رئاســة اليهود(٨٦) ٠ وفى الثلاثينات ظل عدد المحــافل كما هو ، ولكن اليهود كانوا يشكلون ٨٥٪ من عضوية ١٢ محفلا منها(٨٧) ٠

ويبدو أن دخول المحفل الأكبر المصرى فى عملية التوســع الجغرافى الخارجى هذه كان سببا فى استقرار احوال الماســونية وتحسن سمعتها فى الشام ، بعد أن ساءت من قبل على نحو ما اشار زيدان ومكاريوس ٠ كما كان سببا فى انتشار نفوذ المحفل خارج مصر ٠

رابعا : ظهور الكتب والصحف الماسونية :

يتبين من البيليوجرافيا الملحقة أن الماســونية شــهدت خلال

مرحلة الاستقرار هذه نشاطا ملحوظا فى التاليف والصحافة على السواء ·

(أ) التاليف :

ظهر أول كتاب بالعربية عن الماسونية فى القاهرة سنة ١٨٨٩ كما ذكرنا من قبل · وبذل مؤلفه جرجى زيدان جهدا واضحا فى جمع مادته التاريخية وتحبيبها الى القارىء · ثم تلاه شاهين مكاريوس الذى بلغت كتبه عشرة ، منها واحد مترجم طبعه وعقب عليه بفصل تاريخى عن الماسونية فى مصر · وكان أول كتاب يظهر لمكاريوس سنة ١٨٩٥ بعنوان « الآداب الماسونية » · وتعد كتبه العشرة رقما قياسيا فى هذا المجال لم يتخطه احد بعده · وبلغت حصيلة المرحلة كلها من الكتب ٣٥ كتابا وكتيبا بعضها غير معروف المؤلف او الناشر ، وبعضها فنى من النوع الذى يعنى بشعائر الماسونية ، ولاسيما الكتب الخمسة التى وضع ادريس راغب اسمه عليها · وقد طبع معظم هذه الكتب بمطبعة « المقتطف » التى كان يديرها مكاريوس · ومن الملاحظ ان العصر الذهبى فى التاليف عن الماسونية يقع فى الفترة من ١٨٨٩ الى ١٩١٠ · ففى تلك الفترة التى انتهت بوفاة مكاريوس ظهر ٢٤ كتابا من مجموع الكتب السبعة والثلاثين · ومن الملاحظ ايضا انه لم يظهر فى مصر خلال المرحلة كلها اى كتاب معاد للماسونية كما حدث فى لبنان ·

وابتداء من كتاب « تاريخ الماسونية العام » لجرجى زيدان غلب على التاليف الماسونى طابع الترجمة والتلخيص من الكتب الأوربية ، وهذا أمر طبيعى ولاسيما فى الكتابة عن الجوانب التاريخية العامة ، والشعائرية الخاصة ، للماسونية · كما غلب طابع الدعاية ، وهذا امر طبيعى ايضا فى ظل حماسة انصار الماسونية الأوائل التى قادتهم الى التعميمات والمبالغات ·

لقد اهتم جرجي زيدان – على سبيل المثال – بنقل كل مايخص الرجوع بالماسونية الى اقدم العصور ، وزاد عليه القياس والاستنباط من عنده . ففسر الأبنية الضخمة في مصر القديمة كالمعابد والمقابر وما يوازيها في الأندلس ومصر الوسيطة كالمساجد والقصور ، على انها من نتاج الماسونيين الأوائل . وترجم ما يعرف في الماسونية باسم « لائحة يورك » نسبة الى مدينة « يورك » الانجليزية ، وهي لائحة جمعت من الأوراق الماسونية القديمة ، ووضعت عام ٩٢٦ ، وضمت كثيرا من المواد التي مازال العمل جاريا بها عند الماسونيين المحدثين . ومن هذه المواد ما يتعلق باحترام الله والاخلاص السلطان ، والاذعان لأوامر الحاكم ، ومساعدة الأخ الماسوني ، وكتمان الأسرار عن الغير ، والامتثال لأوامر الرؤساء ، ومعاونة الماسونيين الوافدين(٨٨) .

واهتم مكاريوس ، من جهة اخرى ، بكل هذه الأمور . ولكن مما يستدعي النظر في كتبه وكتب ادريس راغب ذات الطابع الفني ، أو الشعائري ، انها تكشف عن صلة واضحة بين اليهودية والماسونية ففي كتابه « الأسرار الخفية في الجمعية الماسونية » يقول ان « الأستاذ الأعظم الأول هو سليمان بن داود النبي الملك »(٨٩) . وفي الفصل الخاص بتاسيس المحافل يقول ان من شروط التاسيس ان يقدم تسعة أساتذة عريضة الى المحفل الأكبر باسم الأستاذ الأعظم ، فاذا وافق الأخير يحضر بنفسه لتكريس المحفل رسميا ويتلو دعاء لمهندس الكون الأعظم ، ثم يقرأ على الحاضرين المزمور المئة والثالث والثلاثين من مزامير داود الذي جاء فيه ذكر « ندى حرمون النازل على جبل صهيون لأنه هناك أمر الرب بالبركة حياة الى الأبد » . ثم ينادي الخطيب الحاضرين بقوله : « اشكروا يا اخواني بصوت عال يهوه الذي شيدت القبة والهيكل لعبادته وذكر اسمه الأعلى » وبعدها يتلو دعاء آخر يسمى « دعاء

التخصيص » ثم يقف الاخوان فيتلو الرئيس دعاء ثالثا يستهله بقوله : « نسألك يا الهنا واله بنى اسرائيل يامن لا اله غيرك » ويروى فيه حكاية بناء سليمان بيتا لاسم الرب وبيتا لملكه(٦٠) ·

ليست الصلة بين هذه الشعائر وبين التراث اليهودى فى التوراة وغيره خافية · ولا اعتراض على أن تستعين هذه بتلك ، ولكن الالحاح على الشعائر والرموز اليهودية لا يمكن أن يأتى عفوا هنا ، ولاسيما اذا علمنا ان الماسونية تلح على احترام الأديان دون الالتزام بدين معين ، والمعنى الواضح هنا هو انها تخلط الشعائر والرموز اليهودية بشعائرها ، وأن هذا الخلط ليس من السهل أن يأتى عن طريق المسيحيين من منظريها ، ولا عن طريق المسلمين من انصارها · واذا جاء على سبيل التسامح فلابد أن يكون لليهود يد فيه ، أو فى اقتراحه ·

وتتأكد هذه الصلة الواضحة بين الشعائر والرموز اليهودية والماسونية فى الكتب التى وضعها ادريس راغب ، ولاسيما فى كتابه « الدرجة الأولى » ·· ففى هذا الكتاب شرح لبعض رموز هذه الدرجة (درجة التلميذ او المبتدىء) عن طريق السؤال والجواب · ومن هذه الأسئلة سؤال عن اتجاه الريح فى الماسونية ، وجوابه : « من الشرق الى الغرب » بهدف « ترويح نفس الرجال وقت الشغل »، ولكن له معنى آخر هو انه « رمز للريح ذى المعجزة الذى كان ضروريا لخلاص بنى اسرائيل من أسر المصريين » ومن الواضح أن هذا المعنى مقحم على السياق اقحاما ، لأنه لا توجد علاقة بين الريح وخروج بنى اسرائيل من مصر الا على سبيل التذكير بما حدث لهم من أسر وتحرير · وهذا ماتمضى فى توشيحه الأجوبة بعد ذلك ، فتقص قصة ارادة مهندس الكون الأعظم فى تخليص « شعبه المختار (الاسرائيليين) من اسر المصريين » وما حدث

لهم فى البحر ، حتى وصلوا سالمين الى بر الأمان • » وقد احيى ذكر هذا الخلاص بنو اسرائيل فساروا أياما فى الصحراء ينشدون ويشكرون الله القادر الذى نجاهم • ومن هذا التاريخ اعتبر ان الريح الشرقى موافق للماسونية »(٩١) •

هذه الاشارات وغيرها لم يظهر لها مقابل من الاشـــارات المسيحية او الاسلامية ، مما يؤكد عندنا احتمال اشتراك اليهود — فى مرحلة مبكرة — فى وضع شعائر الماسونية ورموزها • وليس من المستبعد — بالطبع — أن يكونوا ساهموا فى تنشيط الماسونية الرمزية وبعثها على انقاض الماسونية العملية • فقد ظهرت الماسونية الرمزية فى القرن الثامن عشر ، فى وقت كانوا مضطهدين فيه فى كثير من ارجاء أوربا •

ومن جهة أخرى اتصل بالتاليف عن الماسونية نشاط آخر تمثل فى شكلين محددين من اشكال الكتابة ، وهما المقال والقصيدة •

اما المقال فكان وسيلة الاعلام الأساسية عند الماسونيين حتى فى مرحلة التاسيس السابقة ، كما سبق أن رأينا عند الحديث عن صـحف تلاميذ الأفغانى • وظلت للمقال هذه المكانة فى مرحـلة الاستقرار هذه • وربما كانت مقالات مجلة « المقتطف » أكثر اعتدالا فى لهجتها الدعائية من مقالات الصحف الأخرى • ومنها مقال بعنوان « الماسونية فى البلاد العثمانية » ظهر بدون توقيع فى عدد فبراير ١٩١٠ • ويستهله المحرر بقوله :

« من غـــرائب اطـــوار الانســـان أن غرضـــه يعميه عن رؤية الحقائق ، ولو ظهرت امامه واضحة مجسمة • مثال ذلك اتهام بعض الناس للجمعية الماسونية بانها جمعية سياسية معادية لكل سلطة مدنية • وهم يرون اعظم الملوك والوزراء ورجال السياسة

من أعضائها العاملين فيها ، المؤيدين لها وهم من دول مختلفة وامم متباينة · بل كيف يعقل ان يكون لهم غرض سياسى يجمعهم وهم مختلفون سياسة تمام الاختلاف · ولا ينكر ان الماسونية تسعى لتحرير الناس من قيود الجهل والظلم والاستبداد ، وهى الغاية التى تسعى اليها الآن كل الحكومات الحكيمة الرشيدة · ولذلك لاتناقض بين مقاصدها ومقاصد الملوك والوزراء وسائر رجال السياسة ، فينتظمون فى سلكها ويؤيدونها · وحسبك شاهدا ما فعلته جمعية الاتحاد والترقى العثمانية · واكثر اعضائها من الجمعية الماسونية المرتشدين بارشادها » ·

وعلى هذا النحو من التناول الهادىء ، الذى يبث الدعاية ولا يصرح بها ، يمضى المحرر فيطبق منطقه على ما تتهم به الماسونية من عداء للأديان مع أن فى سلكها ــ كما يقول ــ عددا كبيرا من رؤساء الأديان المختلفة · ثم يدلل على ان الماسونية لا غرض لها « الا أن يعين اعضاؤها بعضهم بعضا فى امورهم الزمنية ، وان يسعوا فى كل ما يعلى شأن البشر » ويكون دليله ان المحافل الانجليزية انفقت فى العام الماضى (١٩٠٩) مبلغ ٥٢ الف جنيه على مساعدة الأرامل والمعوزين ، و ٤٤ الف جنيه على تعليم البنات ، و ٢٦ الف جنيه على تعليم الصبيان · وينتقل الى الاعتراض على الماسونية بأن فيها اسرارا لا تفشيها ، فيقول : « ان هذه الأسرار محصورة فى اشارات يعلم الماسون بعضهم بعضا بها ، وفى رموز تستعمل فى كتبهم كالرموز التى يستعملها الرياضيون فى كتب الجبر ، وقلما يتعذر فهمها على من يطلب ذلك » ·

يتحدث المحرر ، بعد هذا ، عن فضل الماسونية على العثمانيين فيقول انها « بثت فى نفوس أعضاء جمعية الاتحاد والترقى روح

الحرية ، وبها اقتدوا فى انشاء جمعيتهم التى فكت قيود الاستبداد » وأخيرا يورد اخبار حفل اقامه الماسونيون فى القاهرة بمناسبة افتتاح محفل جديد باسم «محفل نيازى» بطل الحرية العثمانية ، برأسه نعوم شقير • ويضيف أن من شهود الحفل « عطوفة ادريس بك راغب الرئيس الأعظم للمحافل الماسونية المصرية » ، وأن كلمات وخطبا القيت خلال الحفل فى تمجيد الماسونية ، بالاضافة الى قصيدتين نشر المحرر نصـــــهما ، الأولى لولى الدين يكن الشاعر التركى المقيم بالقاهرة ، والأخرى لنعوم شقير المهاجر الشامى المسيحى ورئيس المحفل الجديد(٩٢) •

ومن الملاحظ ان انتصار « حركة تركيا الفتاة » وتقويضها لحكم السلطان عبد الحميد كان لهما اثر ايجابى فى الحركة الماســـــونية فى مصر خلال تلك الفترة • وقد استغل دعاتها وجود بعض الماسونيين فى الانقلاب العثمانى فحاولوا الاستفادة من ذلك فى دعايتهم — كما فعل محرر المقتطف — ولاسيما بين المثقفين فى مصر الذين كان كثير منهم يكره استبداد عبد الحميد فى تركيا •

وأما القصيدة فقد لعبت دورها — كشكل أدبى — فى الدعاية للماسونية خلال المرحلة • ولكن لماذا اهتم الشعراء بالماسونية ؟

الجواب ينطبق على الصحفيين والكتاب الذين ناصروها فى كتاباتهم ، أى بعد أن تمسونوا اذا صح التعبير • وهكذا الحال مع الشعراء الذين ارتبطوا منذ القدم بالتقليد المفسد للشاعرية المعروف باسم « شعر المناسبات » ويبدو أن سبب « تمسون » الكثيرين من هؤلاء وأولئك يرجع الى الشــــعارات الماسونية البراقة فى الحرية والاخاء والمساواة ، وهى شـــــعارات كانت تحلق فوق أرض تموج — وقتها — باســـــتبداد الولاة العثمانين والنزعات والصــــراعات

الطائفية فى الشام بصفة خاصة ، مما أدى الى حماسة كثيرين من المثقفين ــ ومنهم الشعراء ــ للماسونية ٠

وبالرغم من التصنع الواضح فى الأبيات الشـــعرية الثلاثة التى مرت بنا فى مدح الخديو توفيق والماسونية ، فهناك شــــعراء موهوبون كتبوا عن الماسونية بعد أن انخرطوا فيها وتاثروا بتعاليمها ٠٠ وأبرز هؤلاء شعراء المهجر الأمريكى الشمالى : جبران وأمين الريحانى وميخائيل نعيمة وايليا أبو ماضى ٠ وقد تمسونوا بعد هجرتهم كنوع من الاحتماء ــ فى الغالب ــ من الغربة ، والحماية لأنفسهم كأقلية ، والاقتراب من المجتمع الجديد ٠

أما فى مصر فقد تمسون عدد من الشعراء منهم ولى الدين يكن التركى المهاجر وابراهيم اليازجى وخليل مطران ونعوم شقير المهاجرون من الشام ، فضلا عن اسماعيل صبرى وحفنى ناصف ومحمود رمزى نظيم وحسين شفيق المصرى وأحمد زكى أبو شادى ٠ وقد ظهرت أســماء هؤلاء فى قوائم أعضـــاء المحافل عبر مرحلة استقرار الماســـونية ، ولكنهم لم يســـتجيبوا جميعا للكتابة عنها شــــعرا ٠

واذا عدنا الى الحفل الذى أشارت اليه « المقتطف » قبل قليل فقد ألقى فيه ولى الدين يكن قصيدة استهلها بقوله :

ياعصر قد صيرتك اليوم أعصـــــار
الأمر شـــــورى وكل الناس أحرار

ومنها هذه الأبيات التى يســــتخدم فيها مفردات ورموزا ماسونية :

تنوع الخــــير مرئيا ومســـــتمعا
فللجلال الخـــير آســـماع وأبصـــار

... هذا الاخاء بنا شدت أواصره
تقسمته قلوب فهو اشطار

يسير من مهج الى مهج
فينا فتمضى الليالى وهو سيار(٩٣)

والقى نعوم شقير - الأقل موهبة - قصيدة محييا نيازى بك احد اقطاب الانقلاب العثمانى فقال :

فتى الأحرار لا تخشى الصعابا
ولا تحسب لنائبه حسابا(٩٤)

واذا كانت هذه وتلك من قصائد المناسبات ، فقد شهدت المناسبات الماسونية عددا آخر من الشعراء ابرزهم محمود رمزى نظيم وأحمد زكى أبو شادى ٠

نشر نظيم عددا من قصائده الفصحى والشعبية فى صحف العشرينات الماسونية ٠ ومنها ابيات ارتجلها فى تهنئة الشيخ احمد مخلوف الذى انتخب سنة ١٩٢١ رئيسا لمحفل المروءة رقم ٢٠٣ ٠ وفيها يقول :

يامعشر الماسون انتم عصبة
الله تمم نورها وسناءها

تتعاونون لنشر كل فضيلة
أخفى الزمان عن العيون رواءها

ان المروءة لا تزال مصونة
بين الورى ما دمتموا نصراءها(٩٥)

وكان نظيم قد انضم الى هذا المحفل فى ٣ سبتمبر من ذلك العام ٠ اما أبو شادى فقد تحمس للماسونية خلال العشرينات أيضا

ربما لعلاقته الوثيقة بالشاعر خليل مطران ، وربما لأسباب اخرى · وانضم الى محفل فى بورسعيد فى الفترة ذاتها · وكتب قصيدة بعنوان « الماسونية » القاها أمام وفد من المحفل الاكبر كان قد جاء الى بورسعيد لتثبيت محفلها · ويستهل القصيدة بقوله :

باســـــم الاخـــــاء أحيى كل مأثرة
فيكم وانصـــــاف مغبـــون ومظلوم

ويقول عن الماسونية بعد استخدام كثير من مفرداتها الشائعة :

لها المســـــاواة نبراس كان بهـــا
سرا من الشمس فى وحى وتعميم(٩٦)

غير أن هذا الشعر الماسونى لم يستمر طويلا بعد العشرينات، وكان فورته رافقت الفورة الماسونية خلال الحقبة ذاتها ، ثم هبطت بهبوطها ·

(ب) الصـــــحف :

يتبين من دراسة الصحف فى تلك المرحلة ، مرحلة الاستقرار أن عدد الصحف التى اهتمت بالماسونية اهتماما عاما كان عددها عشر صحف بين يومية وأسبوعية وشهرية · ومع أن معظم هذه الصحف تفاوتت أعمارها بين القصر مثل « الفلاح » و « الصادق » والمتوسط مثل « اللطائف » و « النظام » فمنها صحيفتان عمرتا طويلا ، وهما « المقتطف » (٧٦ عاما) و « المقطم » (٦٤ عاما) كما يتبين أن عدد الصحف التى اهتمت بالماسونية اهتماما خاصا ، اى تخصصت فيها ، كان عددها سبع صحف · وكانت أولى هذه الصحف المتخصصة « المجلة الماسونية » التى انشأها يوسف لقلوقة فى الاسكندرية سنة ١٩٠١ ، وعهد بادارتها وتحريرها الى نقولا سابا · ولكن هذه الصحف السبع غلب عليها قصر العمر فلم تعش

اطولها عمرا اكثر من تسع سنوات . وهي « الجريدة الماسونية » التي انشأها نقولا سابا في الاسكندرية سنة ١٩٠٢ . ومع ذلك امتدت هذه الصحف المتخصصة الى خارج القاهرة والاسكندرية ، حين أنشأ محمد سيف النصر مجلة « الاخاء » في المنصورة سنة ١٩٢٠ .

(أ) الصحف ذات الاهتمام العام :

كانت الماسونية تحظى في هذه الصحف بقسط ملحوظ ، ولكنه محدود في النهاية داخل اطار الاهتمامات الأخرى المتنوعة . ومع ذلك كانت تحرص على نشر اهم أخبار الحركة الماسونية واحداثها . وكان بعضها يتولى الرد على أسئلة القراء الخاصة بالماسونية . وتعد « المقتطف » من ابرز هذه الصحف التي كان يغلب عليها — في الوقت ذاته — طابع التحيز . ولننظر هنا في بعض ردود « المقتطف » على أسئلة القراء لنرى الى أى مدى كان التحيز والدعاية والمحاباة :

١ — في عدد ابريل ١٩١٧ ثلاث مواد ، في باب كانت المجلة تسميه « المسائل » ، ردا على ثلاثة أسئلة من احد القراء (الخراجه ايلى بلتنر) من مصر عن فائدة الجمعيات الماسونية . وجوابه : « الغرض الأول من الماسونية التعاون على البر . فاذا قام اعضاؤها بما يطلب منهم ، وتعهدوا به عاشوا عيشة فاضلة ، وساعدوا بعضهم بعضا في كل ماينفعهم ولايضر غيرهم» . أما السؤال الثاني فعن صحة انتظام ذوى المقامات في الماسونية وسبب ذلك . وجوابه : «ذلك صحيح . وفي الماسونية مرغبات اخرى للاشتراك فيها غير ما تقدم مثل الرتب والنياشين وحفلات الأنس . والملوك وأصحاب المقامات اميل من غيرهم الى هذه الأمور . فلا عجب اذا اشتركوا في الماسونية . بل العجب اذا لم يشتركوا فيها » وأما السؤال الأخير

فعن قبول النساء فى الماسونية . وجوابه : « ان بعض الجمعيات الماسونية يقبل النساء بين اعضائها ، ولكنها قليلة . والغالب انها خاصة بالرجال »(٩٧) .

٢ ـ فى عدد مايو ١٩٢٦ مادة فى باب « المسائل » ردا على سؤال القارىء من العراق حول حقيقة الماسونية . وجوابه : « هى جمعية تعاون لا تتعرض للدين ولا للسياسة . ولذلك ينتظم فيها الناس من كل الأديان .. وغايتها التعاون .. وهى تهتم باختيار اعضائها من فضلاء الأنام ، وتبقى اشاراتها سرية ، حتى لايستعملها اناس لا خلاق لهم فيفسدوا عليها عملها . ولما كان اكثر اعضائها من المتعلمين المتهذبين الذين لا يتسلط عليهم التدجيل شنأها بعض المتجرين به ، وبعض رجال الأديان الذين توهموا انها مضادة لدينهم .. هذا ، وغنى عن البيان أن الماسون غير معصومين فى انتقاء الأعضاء ، ولكنهم يبذلون جهدهم كى لا يخدعوا ، ولا الماسونية تكفل تغيير الأخلاق الفطرية ، ولكنها تسعى الى ذلك جهدها بالبحث والمعاشرة »(٩٨) .

(ب) الصحف ذات الاهتمام الخاص :

كانت الماسونية تحظى فى هذه الصحف بنصيب الأسد ان لم يكن بمجموع الصحيفة . ومن الطبيعى ان تكون مثل هذه الصحف المتخصصة محدودة الجمهور والانتشار . ولهذا كان الطابع الغالب فى طريقة صدورها هو الصفة الشهرية ، ولم يكن منها سوى اثنتين نصف شهريتين ، وهما : « الجريدة الماسونية » التى اسسها فى الاسكندرية نقولا سابا سنة ١٩٠٢ ، و « الاخاء » التى اسسها فى القاهرة رحمين فرجون سنة ١٩٠٦ ، ولكن الأولى لم تستمر اكثر من تسع سنوات بين انقطاع وانتظام ، فى حين توقفت الأخرى بعد بضعة اشهر ، ولكن كان من هذه الصحف واحدة اسبوعية ، هى

« الاخاء » التي تحمل الاسم السابق ذاته . وقد أسسوا في المنصورة محمد سيف النصر سنة ١٩٣٠ ولم تستمر اكثر من عامين . بل انها لم تلتزم طويلا بالطابع التخصصي ، وتحولت بســـرعة الى الصحف ذات الاهتمام العام . وكان ينطق باسم المحفل الاكبر من هذه الصحف : المجلة الماسونية ، الميثاق .

وباستثناء « الجريدة الماسونية » التي اتخذت شكل الصحيفة ذات القطع القريب من التابلويد حرصت الصحف الست الأخرى على اتخاذ شكل المجلة التي يتفاوت قطعها بين قطع « المقتطف » وقطع المجلات الأسبوعية المعتادة . ونظرا لتخصص هذه الصحف فقد كانت تحرص على نشر الأخبار والتفصيلات الصـــغيرة التي تضيق بها الصحف ذات الاهتمام العام .

من هذه الأخبار ما نشرته « المجلة الماسونية » في سبتمبر ١٩٠٣ عن محفل « نوفا اورورا » ، وهو اسم ايطالي معناه « الفجر الجديد » . يقول الخبر ذو التعليق :

« سامنا ما وصل الينا من أن أحد اخوان هذا المحفل قد اباح لأحد الاخوان الغائبين عن احدى جلساته اسرار أعمال تلك الجلسة ومادار من الأقوال فيها بشأنه . فترتب على ذلك ان الأخ الذي استرق تلك الأسرار جاء مؤنبا أحد المحترمين الذين كانوا حاضرين في الجلسة ، وهو عضو في المحفل ، ومنبه فيه ، على ما قاله بشأنه .. وقد أخبره بكل ما دار من المذاكرات في المحفل . فعلم ان الذي اباح له ذلك هو احد الاخوان الأساتذة . وترتب على ذلك تقديم استعفاء ذلك المحترم من عضوية المحفل ومن وظيفته ، بقوله انه لم يعد له ثقة بان يبدي رايا في المحفل بشأن أي كان ، خشية اباحة اسرار الأعمال . وقد علمنا ان المحفل نظر لهذه المســـألة بعين الأهمية . وعين لها لجنة للبحث والتنقيب . وسيحاكم ذلك الأخ الثرثار على ما بدر منه مما يخالف قانون العشيرة »(٩٦) .

واذا كان هذا الخبر التعليقى أو التعليق الخبرى يكشف عن حرص الماسونية على سرية ما يدور داخل جلسات محافلها ، فقد حرصت الصحف الماسونية ايضا على نشر أوامر الأستاذ الأعظم للمحفل الأكبر ، واخبار تحركاته ومايهم الماسونيين من شئون · ومن ذلك ما نشرته « الجريدة الماسونية عن شروط قبول « الاجانب » . اى غير الأعضاء ، فى الماسونية ، وهى اربعة : أن يبلغ سن ٢١ سنة الا اذا كان من أولاد الاخوان الأساتذة وعندئذ يجوز قبوله فى سن الثامنة عشرة ، وأن يكون سليم الجسم خاليا من العاهات المعدية ، وان يكون حاصلا على العلوم الابتدائية بقطع النظر عن اللغة الأجنبية ، وأن يكون ذا صفة شريفة ولديه من الوسائل مايكفى لعيشه بحيث يكون ايراده السنوى ١٢٠ جنيها على الأقل(١٠٠) · وهذه شروط عامة منقولة عن شروط الماسونية فى البلاد التى نشأت فيها · وهى ان دلت على شىء فانما تدل على ان الماسونية ليست ناديا أو منتدى مفتوحا بغير تمييز طبقى أو اجتماعى ·

من الموضوعات التى نشرتها « الجريدة الماسونية » فى تلك الوقت موضوع حول علاقة الماسونية بأمور الدين · ويتلخص فى أن أحد الاخوان (اسمه فارس افندى) من لبنان جاء الى مصر مبعوثا من « دولة المتصرف » هناك بغرض استمالة الرئيس الأعظم للماسونية المصرية ومحافلها لمساعدته « فى مقاومة الاكليروس اللبنانى وتجديد انتخابه على المتصرفية » ولكن محاولته لم تجد الترحيب طبقا للفقرة الرابعة من محضر الجلسة التى عقدها المحفل، وهى : « تمتنع الماسونية من اجتماعاتها منعا باتا كافة المداولات الدينية والسياسية » واختتمت الجريدة الموضوع بأن « الماسونية المصرية جمعية خيرية ادبية ولا عمل لها الا اعانة الفقير ومساعدة المحتاج »(١٠١) ·

ولم تكن هذه الصحف المتخصصة تقتصر على الأخبار والتعليقات والموضوعات الماسونية · فقد كان شعار الجريدة الماسونية « جريدة اخبارية انتقادية حرة » وكان شـــعار المجلة الماســـونية « مجلة ماسونية ادبية علمية اجتماعية تاريخية » وكان شعار مجلة الميثاق « مجلة ماسونية علمية ادبية فكاهية مصورة » ، وهكذا ·

ومع ذلك ظلت هذه الشـــعارات نوعا من الطموح الذى لم يستطع اصحابه تحقيقه ، وإن كانت أعداد هذه الصحف ام تخل من مواد أدبية او طرائف بصـــفة خاصـــة · فقد كانت « المجلة الماسونية » ــ على سبيل المثال ــ تنشر ــ من حين لآخر ــ قصائد لأدباء المهجر : جبران ونعيمة وابو ماضى والريحانى · وكان بعض هذه الصحف ، ولاسيما « الأخبار الماسونية » ، يخصص قســـما باللغة الفرنسية · وكان القسم الفرنسى فى « الأخبار الماسونية » الذى حرره « الأخ الفارس » البير بزيات يكاد يكون الأصـــل فى المجلة ، فى حين أن القسم العربى فيها الذى حرره « الأخ الفائق الاحترام » اسكندر فرج و « الأخ المحترم » موسى جرونشتين كان اقرب الى الترجمة عن القسم الفرنسى · ومع ذلك نشرت شعرا ومقالات ومترجمات لمحمد الهراوى ومحمد بدران ومنصور فهمى وعلى الخفيف وشـــكيب ارســـلان على امتداد أعدادها الثـلاثة الوحيدة ·

كان من بين المواد المترجمة فى هذه المجلة التعريف الرسمى ــ كما تســـميه ــ للمادة الأولى من قانون ١٠ أغسطس ١٨٤٩ الماسونى · وهذا نصها :

« الجمعية الماسونية جمعية خيرية فلسفية سيارة ترتكز على مبدأين عظيمين : المبدأ الأول الاعتقاد بوجود خالق الكون الأعظم · والمبدأ الثانى الاعتقاد بخلود النفس · وموضوعها التدريب على

الاحسان ، ودرس علم الأخلاق العام والعلوم والفنون ، وممارسة جميع الفضائل · وان شعارها في كل زمان ومكان هو الحرية ·· والمساواة ·· والاخاء ·· »(١٠٢)

وعرفت المجلة الاله عند الماسونية بقولها :

« اله الماسون واحد عام غير مخلوق ، أبدى ، كلى القدرة ، عالم ، رؤوف ، خـــالق لكل ما يوجد بقوته القاهرة ، مدبر للعالم بحكمته ، يعامل عباده بالرأفة الأبوية ، منبع كل نور وعدالة ، انموذج الكمال ، يمتنع عن العقول ادراك ذاته ، ولايعرف الا بصفاته لهذا ترى الماسونيين يكتفون بالتعبير عنه بقولهم : مهندس الكون الأعظم »(١٠٣) ·

وعرفت الخلق الماسوني بقولها :

« الخلق الماسوني ليس كاثوليكيا ، ولا بروتســـتانتيا ، ولا يهوديا ، ولا محمديا ، ولكنه عام »(١٠٤) ·

هذه المقتطفات تتردد بكثرة ـ وان كانت بعبارات أخرى ـ في الكتابات الماسونية الفرنسية بصفة خاصة، وهي كتابات تحاول ـ كما رأينا ـ أن تضفى طابعا فلسفيا على الماسونية ، وأن تربط هذا الطابع بشعار الثورة الفرنسية المشهور ·

ومن الطبيعي أن تهتم الافتتاحيات ،أو المقالات الافتتاحية ، في هذه الصحف بالشؤون الماسونية · وفي بعضها تسجيل لكثير مما مر على الماسونية في مصر من تطورات · ففي افتتاحية العدد ٩ من السنة ٣ للمجلة الماسونية بعنوان « يضع القارىء عنوانها » يطرح المحرر قضية ماسونية خطيرة · فهو يبدأ بالحديث عن انتشار الماسونية في مصر ، ولكن سرعان ما يدخل في صميم القضية حين يقول : « يدخل في العشيرة كل طامع بمساعدتها · فاذا لم تساعده

طمع بأموالها ، فاختلس ما تصل اليه يده وتسعه ذمته » وتلك – كما يقول – قضية من قضايا بشاعة الماسونية فى القطر المصرى · ولكن هناك غيرها « من نحو حب الرئاسة ، والتشامخ ، والتمسك بالرأى، والتدليس فى الوجوه ، والنميمة ، والوقيعة ، الى آخر ما يتسفل به الســافل ويطاوعه ضميره الساقط » واختتم المحرر الافتتاحية بالاشـــارة الى الأمر الذى أصدره الأستاذ الأعظم ادريس راغب بالتحـــرى عن طالب الالتحاق فى قلم الســوابق فى المحافظات والمديريات والقنصليات »(١٠٥) ·

لعل ما اشار اليه المحرر هنا يشكل فى الحقيقة قضية اخلاقية لم تنجح الماسونية فى مداواتها · واذا كان ما كتبه يرجع الى سنة ١٩٠٣ فقد مر بنا شيء من هذا التدهور الخلقى فيما حدث للأفغانى سنة ١٨٧٩ ، وفيما صوره هو نفسه فى الأستانة بعد ذلك · وسوف نرى بعد قليل كيف ادى هذا التدهور الخلقى الى انقسام الماسونية وصراع أصحابها سنة ١٩٢٢ ·

ولعله قد اتضح لنا الآن أن الفترة من ١٩٠١ الى ١٩٢٥ كانت فترة الصحافة الماسونية – بحق – فى مصر ، وعصرها الذهبى ، اى منذ صدور « المجلة الماسونية » سنة ١٩٠١ الى توقف مجلة « الميثاق » سنة ١٩٢٥ · وبعدها تدهورت الصـــحافة الماســونية المتخصصة حتى اختفت بعد سنة ١٩٣٢ ، ولم يعد للماسونية صوت اعلامى الا فى الصحافة ذات الاهتمام العام · ولعله قد اتضح لنا الآن ايضا أن الماسونية – فيما عرضناه من كتبها وصحفها – كانت فى اساسها بضاعة الاقلية غير المسلمة ، من المسيحيين الشاميين واليهود المستوطنين ، بالرغم من اقبال المسلمين على محافلها ·

النشـــاط الاجتمـــاعى :

ماذا كان نشـــاط الماسونية فى تلك المرحلة التى رفعت فيها شعار الخدمة الاجتماعية والبر والاحسان ؟

لقد استقرت الماسونية فى تلك المرحلة كما رأينا ، ووجدت من الحكام وممثلى الاحتلال التشجيع والمباركة ، واصدر انصارها كتبا وصحفا ، ونظم شعراؤها القصائد والأزجال ، وكثر عدد اتباعها وازدادت محافلهم · وأصبحت ملء السمع والبصر كما يقولون · وبلغ من شهرتها عند الناس أن المسرح المزدهر فى تلك الفترة اهتم بها وقدمها لجمهوره · ففى اكتوبر ١٩٠٧ قدمت فرقة عزيز عيد مسرحية باسم « الماسون » على خشبة دار التمثيل العربى ثم على خشبة « تياترو الشيخ سلامة حجازى » · وكانت المسرحية فرنسية فى الأصل من نوع « الفودفيل » ، أى الكوميديا الخفيفة المصحوبة بالاغانى والموســـيقى · وقد قدمت لأول مرة فى باريس فى سنة ١٩٠٥ ، وهكذا لم يكد يمضى على تقديمها هناك نحو عامين حتى ترجمت وقدمت فى القاهرة · ومعنى هذا انه كان لها جمهور · وفى سنة ١٩٢٨ التى كانت ذروة تلك المرحلة ـ كما رأينا ـ اعادت فرقة يوسف وهبى تقديم المسرحية على مسرح رمسيس واشـــترك فى تمثيلها مختار عثمان ومحمد عبد القدوس ، وتغير اســـمها الى « الماسونية » وكان ذلك فى شهر نوفمبر من تلك السنة ·

وقد عرض الناقد المسرحى محمد توفيق يونس لهذه المسرحية، وذكر أن الماسونيين فى مصـــر وقتها ظنوا انها تهاجمهم فاهتموا بأمرها ، واستعلموا عنها ، حتى من الناقد نفسه · وتحدث عن الضجة التى اثارتها بسبب عنوانها ، وكيف كان الاسم سببا لاقبال الجمهور عليها ، « ظنا منه أنه سيشاهد شيئا من اسرار الماسونية المزعومة وخفاياها الموهومة · والحقيقة ان الرواية لا تتعـــرض

للماسونية بخير ولا شر ، وانما تتخذ من ادعاء بعض اشخاصها انهم ماســـونيون موضوعا لسلسلة من المواقف الفكهة والحوادث المضحكة »(١٠٦) ومن الواضح أن تقديم المسرحية مرتين على هذا النحو كان من قبيل الاستفادة من وضع الاستقرار والشهرة الذى حققته الماسونية فى تلك المرحلة ·

ومع ذلك لم يزد النشاط الاجتماعى للماسونية ، بصـــفتها جمعية خيرية ، على التبرعات والولائم والمســـاهمة فى المدارس واعانة الفقراء والمحتاجين ولاسيما من أعضائها أو اسرهم · وهذه بعض الأمثلة :

١ ــ فى سنة ١٩٠٣ قرر المحفل الأكبر الوطنى مساعدة ابن الأخ المرحوم محمد الزرو ، وذلك بارساله الى المدرسة ، والاتفاق على تعليمه سنويا بمبلغ ستة جنيهات · كما قرر اعتماد صرف مبلغ ٢٠ جنيها لأولاد الأخ المحترم دونيس الرئيس السابق لمحفل راغب عن سنة ١٩٠٣(١٠٧) · وفى الوقت ذاته اشترك محفل المقطم مع محفلى بدر حلوان واللطائف فى تربية عشرين تلميذا من فقراء مدينة حلوان وتعليمهم الصنائع المختلفة · وقام شاهين مكاريوس بتعليم بعضهم فى مطبعة « المقتطف » · وتعهد الثرى اليهودى سوارس صاحب سكة حديد حلوان بتسفير التلاميذ ، ذهابا وايابا ، دون مقابل(١٠٨) ·

٢ ــ فى سنة ١٩٠٧ اقام محفل الصدق الماسونى حفلا فى دار التمثيل العربى ، خصص ايراده لمشروع الجامعة المصرية ، والقى فيه الشاعر حافظ ابراهيم قصيدة مطلعها :

ان كنتم تبـــذلون المـــال عن رهب
فنحن ندعوكم للبـذل عن رغب(١٠٩)

٣ ـ فى سنة ١٩١١ نشرت مجلة « المنار » نقلا عن مراسل « المقطم » فى الاسكندرية أن « نخبة من الماسون ورجال الجمعيات الأخرى شارعون فى انشاء مدارس للتعليم المطلق من كل سـلطة دينية يعلمون فيها التلاميذ على مذهب ابن رشد »(١١٠) ويبدو من هذا الخبر الذى قصد به الاساءة للماسونية أن المشروع لم يتحقق ٠

٤ ـ فى سنة ١٩٢١ اقام المحفل الأكبر « وليمة ماسونية » تكريما لكل من « حضرة الأخ كلى الاحترام صاحب السمو الأمير محمد على استاذ أعظم شرف للمحفل الأكبر الوطنى وحضرة الأخ فائق الاحترام صاحب المعالى سـعد زغلول باشـا رئيس الوفد المصرى »(١١١) وفى السنة ذاتها تبرع محفل صدق الوفا رقم ٢٠٤ بالقاهرة بمبلغ خمسة جنيهات لاعانة منكوبى حرب الأناضول(١١٢) ٠

لم يتجاوز النشاط الاجتماعى الماسونى المظاهر السابقة على أى حال ، وهى مظاهر لا تجعله متفردا فى عصره ، ولا تضفى عليه مكانة من نوع خاص ٠ واذا كان هذا النشاط مطلوبا بحكم القانون الماسونى السابق ذكره فقد كان محدودا بوجه عام ٠

التطـورات السـلبية :

يمكن أن نعد التطورات السابقة جميعا تطورات ايجابية خدمت الماسونية ودعمت استقرارها فى تلك المرحلة ٠ ومع ذلك شـهدت الماسونية بعض التطورات السلبية التى أثرت فى مكانتها وأدت الى تمزقها وتفتتها ، ولا سيما خلال المرحلة التالية ٠ ويمكن أن نجمل هذه التطورات فى ثلاثة هى : **الهجوم المضاد ، التورط السياسى ، الانقسـام** ٠

(أ) الهجوم المضـاد :

لم تجد الماسونية ارضا مفروشة بالسجاد على الدوام فى

مصر منذ دخولها . فقد كانت الأشواك تهدد مسيرها فى كثير من الأحيان ، ولاسيما فى مرحلة الاستقرار هذه وما تلاها . وتمثلت هذه الأشواك فى الهجوم المضاد الذى واجهته بين حين وآخر . وبالرغم من أن هذا الهجوم كان محدود الانتشار ، لا يلقى أى عناية من الصحف التى يصدرها الشاميون المسيحيون ، بما فيها « الاهرام » ، فقد ظل قائما يجد متنفسا له فى الصحف ذات الاتجاه الاسلامى مثل مجلة « المنار » والصحف ذات الاتجاه الليبرالى مثل جريدة « السياسة الأسبوعية » وكثيرا ما كان هذا الهجوم يبدأ من نقطة التغلغل اليهودى فى الماسونية .

ومن أبرز ما كتب فى هذا المجال مقال بعنوان « الخطر اليهودى » لمحمد عبد الله عنان ، نشرته « السياسة الأسبوعية » فى يوليو ١٩٢٨ . وفيه تحدث الكاتب عن خطر اليهود وما يسميه هؤلاء « خصومة السامية » ، أى العداء للجنس السامى . واشار الى ما تعرض له حين أصدر كتابه « تاريخ الجمعيات السرية » من الحملات العديدة فى الدوائر والصحف اليهودية فى مصر وغيرها . وكان قد تناول فى هذا الكتاب تاريخ الجمعيات الماسونية ، وتغلغل اليهود فيها . ثم اشار الى أعراض هذا الخطر وكيف أنها تتمثل فى المحاولة الخفية المنظمة لاستعباد العالم ومحو كل دين عدا اليهودية . وقال : « ان فكرة فوز اسرائيل على أمم الأرض جميعا مازالت تتقد فى صدور بنى اسرائيل ، وتتخذ فى عصرنا نوعا من العقيدة المقدسة ، حتى فى أذهان المتنورين والأحرار من مفكريهم »(١٦٣) .

فى الأسبوع التالى نشرت « السياسة الأسبوعية » تعليقا على هذا المقال لمحمد كامل حسن من مدينة الزقازيق بعنوان « الخطر اليهودى أيضا : البناية الحرة فى مصر » وفيه أيد الكاتب ما جاء فى المقال السابق عن « وجود الخطر الماحق الذى سوف يداهم

العالم يوما ما ، والعالم يسبح فى جو الخيال ، تاركا قادة اليهود يعملون فى الخفاء دون أن يثيروا الريب والشكوك بعملهم هذا تحت ستار جمعيات الاخاء التى يسمونها البناية الحرة » ثم اضاف المعلق أنه بدأ حياته الماسونية منذ خمسة أعوام تقريبا • فقد دخلها باغراء الدعاية لها فى التضحية وخدمة الانسانية ـ كما يقول ـ ولكنه لم يعثر الا على نقيض تلك « المبادىء الغرارة الفاتنة » • بل وجد أن « أغلبية تلك الفئة (الماسونية) هم اليهود وهم الذين يقودون العشيرة تحت هذا الستار الخلاب » ، وأن الماسون هم أظهر القرائن واقواها على وجود الخطر اليهودى • واختتم تعليقه بأن « هناك من الأسرار الخفية مالو أذيع لروع العالم واخطأ التقدير فى حكمه. وامسى يرى تلك الفئة بالعين المجردة انما تعمل لهدم بقية الأديان دون دينهم » ووعد بالتكاتف لفضح الماسون واليهود(١١٤) •

وبالرغم من ان عنان والمعلق على مقاله لم يعودا الى الموضوع بعدها ، ولم يف المعلق بما وعد ، فقد انصرفت الجريدة عن الخوض فى الموضوع ، ونشرت فى أعقاب ذلك ما يشبه الاعلان عن براءة الماسونية مما نسب اليها • ومع ذلك ظل هذا المقال والتعليق عليه أعلى مظاهر الهجوم المضاد واكثرها جدية فى تلك المرحلة •

(ب) التورط السـيـاسى :

لعلنا لمسنا الحاح الماسونية ، من الناحية النظرية على الأقل، على عدم التورط فى السياسة أو الدين • ومع ذلك لم تنج الماسونية فى مصر من هذا التورط ، لا فى المرحلة السـابقة ـ مرحلة التاسيس ـ كما رأينا ، ولا فى هذه المرحلة التى رسـخت فيها واستقرت أمورها • وقد تدرج التورط فى هذه المرحلة من الاحتجاج على نفى سعد زغلول ومناشدة الملك فؤاد التدخل لاطلاق سراحه

ـ كما مر بنا ـ الى مناشدة أهل فلسطين التزام الهدوء والسكينة ومشاركة اليهود فى بناء الوطن المشترك .

أما الاحتجاج على نفى سعد ومناشدة الملك التدخل لاطلاق سراحه فيبدو أن الموجة العارمة فى البلاد وقتها ضـــد الانجليز وتصرفاتهم هى التى دفعت « السلطة الماسونية » الى اعلانه . فقد قدم عبد المجيد يونس ـ كاتب السر الأعظم فى المحفل الأكبر ـ ذلك الاحتجاج بكلمة عنوانها « الماسونية والحالة الحاضرة » ، أشـــار فيها الى مارددته الصحف وقتها (يناير ١٩٢٢) عن سكوت المحفل الأكبر ازاء ما يحدث فى البلاد ، وصمته عن الاحتجاج على أعمال السلطة العسكرية . واضاف :

« ان من عادات الماسونية ، بل واجباتها أن تعمل فى الخفاء ولا تعلن أعمالها ، ولكن حيث انه مطلوب من المحفل الأكبر بالحاح أن يعلن ما فعله فى الظروف الحاضرة فانى أرسل لحضرتكم (يقصد مدير المجلة الماسونية) صورة من الاحتجاج الماسونى الذى سبق رفعه للشروق العظمى والمحافل الكبرى الماسونية . وقد وقع هذا النداء الأستاذ الأعظم ادريس »(١١٥) .

وأما مناشدة أهل فلسطين التزام الهدوء ومشاركة اليهود فى بناء الوطن المشترك فله قصة طريفة . وتتلخص هذه القصة الطريفة فى أن حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية توقع وأنصاره فى مطلع سنة ١٩٢٢ أن يقوم عرب فلسطين ـ كعادتهم ـ بأعمال عنف ضد اليهود أثناء احتفالاتهم بمولد نبيهم موسى ، فطلب من ممثل المنظمة فى القاهرة العمـــل على توجيه بيان من بعض أهل الثقة فى مصر الى عرب فلسطين لحثهم على التزام الهدوء أثناء تلك الاحتفالات التى يشهدها يهود من مختلف بلاد العالم . وتوصل

مندوب المنظمة عن طريق احمد زكى باشا مدير دار الكتب (« شيخ العروبة » فيما بعد) الى طريقة لاصدار هذا البيان عن رئاســـة الماسونية فى مصر ، التى يمثلها المحفل الأكبر الوطنى المصرى ، مقابل الف جنيه ٠

لقد نجحت المحاولة الصهيونية بالفعل ، واصدر المحفل الأكبر البيان المطلوب بتاريخ ٢ ابريل ١٩٢٢ ، وهو موعد سابق على موعد احتفالات المولد ٠ ووقعه ادريس راغب الأستاذ الأعظم للمحفل وهيئة مكتبه ٠ وكان بعنوان « نداء الى اهالى فلسطين » من « المحفل الأكبر الوطنى المصرى للبنائين الأحرار القدماء المقبولين » وقد كتب بصيغة خطابية ، ووجه الى جميع فئات فلسطين وطوائفها كبارا وصغارا ، رجالا ونساء ٠ ودعا الجميع الى افساح المجال لليهود فى سبيل فائدة الوطن المشترك وعظمته ، وتوفير اسباب الســـلام والوئام والتسامح وحقن الدماء ٠ وخص عرب فلسطين بالعمل على تحقيق هذه المطالب ٠ وعد كلماته ممثلة لمصر ، الشقيقة الكبرى ٠ (راجع نص النداء فى اللاحق) ٠

ويبدو ان هذا النداء وصـــل اهل فلســـطين عن طـريق المنشورات لا الصحف ٠ ثم مالبثت الصحف فى مصر ان اشارت الى وصوله الى أيدى الفلسطينيين ٠ وعندئذ نشرت جريدة «النظام» النص الكامل للنداء تحت عنوان « العشيرة الماسونية والمحفل الأكبر الوطنى المصـرى » ومع أن الجريدة كانت من الصـــحف المهتمة بالماسونية ، وكان صاحبها ومحررها سيد على الحريرى ماسونيا فقد وقعت الموضوع بتوقيع « ماسونى متألم » ، وأغلب الظن انه هو نفسه صاحبها ومحررها ٠ وقد استهل الموضوع بقوله :

« الجمعية الماسونية جمعية خيرية تقوم على مبدأ مساعدة الضعفاء والمساكين ، والدفاع عن الحرية ، والانتصاف للمظلوم ٠

ولم نكن نعرف انها جمعية سياسية تتداخل فى أمور الشعوب ، وتتصرف فى شؤونها ، وتدعوها للاستسلام لمغتصبى حقوقها الا اليوم ، عندما قرأنا الرسالة التى نشرتها زميلتنا « الأهرام » الغراء من يافا ، وهى تتضمن الرد على المنشور الذى أرسله المحفل الأكبر الوطنى المصرى الى أهالى فلسطين يدعوهم الى الاستسلام للصهيونية وتركها تعمل ما تشاء فى بلادهم ، ويطلب أن لا يتعرضوا لها فى أغراضها القومية »(١١٦) ٠

ثم أبدى المحرر دهشته من تدخل المحفل على هذا النحو ، وكيف « كان يأبى ان يبدى رأيه فى المسألة المصرية ، مدعيا ان الجمعية الماسونية جمعية خيرية لا دخل لها فى السياسة ٠ وكانت دهشتنا اكبر لأن تلك الدعوة التى أرسلها المحفل الأكبر الى اخواننا أهالى فلسطين كانت مرسلة باسم الأمة المصرية التى تطالب بحريتها » وأبدى لومه الشديد لما حدث من المحفل ، ثم تلاه بنص المنشور كاملا ٠ وعقب عليه بما رد به محفل يافا من الاحتجاج والاستنكار ٠ واختتم التعليق بعبارة : « فهل لا يرى المحفل الأكبر الوطنى المصرى فى هذا الكلام مايخجل ؟ كلى »(١١٧) ٠

ولم يكن محرر « النظام » يعلم — فى الغالب — قصة الضغط الصهيونى من أجل الحصول على هذا النداء ٠ فهذه القصة كشفتها أوراق وايزمان ورسائله التى جمعت ونشرت سنة ١٩٧٧ ٠ ولكن يتبين من تقديمه للموضوع انه كان على علم بجانبها المتعلق بممثل المنظمة الصهيونية فى القاهرة ، وجهوده فى هذا السبيل ٠

لم يكن فى النداء دعوة صريحة لقبول الوطن القومى اليهودى فى فلسطين ، ولا اعتراف بحق اليهود فيه ، وانما كان فيه الحاح على فكرة « الوطن المشترك » ، وهى ذاتها الفكرة التى روجتها الصهيونية فى مصر وقتها ، حتى تجد عن طريقها منفذا الى البقاء

والنشاط داخل القاهرة والاسكندرية · ومع ذلك كان النداء جريئا ، لا في كلماته وعددها ولكن في توقيته أيضا · فقد استقر الانجليز على وعدهم الذى أعلنه وزير خارجيتهم آرثر بالفور سنة ١٩١٧ · وبدات الصحف الوطنية في مصر في اثارة القضية · ولم ينتظر كبير الماسونيين حتى ينجلي الأمر . فظاهر بمظاهر الملكي اكثر من الملك · واذا كانت طبيعة مواقف ادريس راغب السابقة من الانجليز كفيلة باصدار نداء كهذا ، فقد كان من الطبيعي أن يثير النداء ازمة خطيرة داخل صفوف الماسونيين . ومعركة في الصحف المصرية والفلسطينية على السواء ·

وما هي الا ايام حتى ظهرت ردود الفعل من جانب الماسونيين انفسهم · فقد اعلن محفل ممفيس التابع للمحفل الأكبر الايطالي انه يدعو جميع الماسونيين باسم الماسونية العامة الى جلسة يوم ٢٩ ابريل ١٩٢٢ لمناقشة النداء السابق وعلاقته بالواجب الماسوني ويرحب « بآراء الباحثين في الموضوع بحرية تامة ، بلا التفات الى تابعية المتكلم لأى شرق من الشروق ، مع مراعاة المصلحة الماسونية العامة » وجاء ذلك في صورة دعوة وزعها المحفل بتوقيع استاذه « ميخائيل بشارة داود »(١١٨) ·

قبل يوم واحد من انعقاد هذه الجلسة كان ادريس راغب والموقعون معه على النداء السابق قد تراجعوا عن موقفهم ، فاصدروا بيانا الى أهل فلسطين استهلوه بالاشارة الى ما أحدثه نداء المحفل الأكبر الوطني المصرى من « سوء تفاهم يوجب الأسف » وأنكروا انهم أرادوا بندائهم « مصادمة عواطف الفلسطينيين » ، وانما أرادوا عدم حدوث شغب اثناء مولد النبى موسى الكليم · اما وقد مر المولد بسلام فيبقى للفلسطينيين الحرية التامة في قبول ادماج الصهيونيين الوافدين من الخارج أو رفضهم · (راجع نص البيان في الملاحق)(١١٩) ·

ومع أن هذا البيان الاعتذارى لم ينشـــر فى مصر الا فى الخامس من شهر مايو ، أى بعد نحو ثلاثة أسابيع على نشر النداء الأول ، فقد كان حذرا فى تناوله لموضوع الصهيونية ومحايدا فى موقفه منها · اذ يقول : « أما الصهيونيون الذين يفدون من الخارج ويســـتوطنون فلسطين فللفلسطينيين أنفسهم الحرية التامة فى أن يحكموا اذا كانوا يقبلون ادماجهم فى العنصر الفلسطينى من عدمه » ولكن يبدو ان قصة الضغط الصهيونى على المحفل كانت قد تسربت الى الكثيرين · اذ يقول البيان فى ختامه ان المحفل يبرأ أن يكون العوبة فى ايدى غرض أو شخص ، « لأنه لم يقدم على نشر النداء الا حبا فى أن يرى السلام سائدا بين جميع العناصر التى تتألف منها الأمة الفلسطينية الكريمة » ·

لقد جاء « النداء » مطولا ، متحمسا ، متعاطفا مع اليهود والصهاينة على السواء برغم عزفه على نغمة الوطن المشترك · ولكن « البيان » جاء اعتذاريا حذرا بما لايتناسب مع الموضوع أو الغرض ومع ذلك جاء الاثنان تعبيرا عن التورط الذى واجهته الماسونية فى تلك المرحلة · ولولا دعم الانجليز لها ، وانشغال الحركة الوطنية عنها بقضية الاستقلال ، لواجهت هجوما من الخارج ، أى من خارج صفوفها · ومع ذلك ايضا ، جاء هذا الهجوم من الداخل ، أى من داخل صفوفها ، حين اشتد الصراع بين أهلها ، على اثر أزمة التورط الخطيرة · ونجم عن هذا الصـــراع انقســـام فى صفوفها ·

(جـ) الانقســـام :

من الواضح ــ مما نشرته الصحف فى تلك الفترة ــ أن هذا التورط التطوعى المأجور من جانب المحفل الأكبر ورئاسته أحدث لغطا كبيرا داخل المحافل وصفوف أعضائها · ومن سوء حظ رئاسة

المحفل الأكبر أن تورطها جاء في وقت اشتد فيه ســـاعد الغليان الوطني ضد الانجليز في أعقاب نفي سعد زغلول ورفاقه ، واستعد فيه ادريس راغب للدخول في انتخابات المحفل السنوية التي اعتاد الفوز فيها منذ تنصيبه أستاذا أعظم سنة ١٨٩١ · ويبدو أن عناصر ماســـونية كثيرة بدأت في التحرك في الخفاء ، وأن عملية تمرد واسعة جرت خلال الأشهر القليلة التالية · وداخل هذا الاطار بدأ اسم الأمير محمد على ، ولي العهد ، في اللمعان كبديل لراغب ·

وفي ٢٨ سبتمبر ١٩٢٢ عقد المحفل الأكبر في مقره بشارع نوبار بالقاهرة جلسة لاجراء الانتخابات ، ولكن الجلسة امتلأت بالأجانب ، أي غير المنتمين للماسونية ، وحدث هرج ومرج ، خرج على أثره ادريس راغب غاضبا ومؤجلا للانتخابات · ولكن المتمردين استمروا في التداول بعد انصرافه ، ثم أجروا انتخابات فاز فيها الأمير محمد على بمنصب الأستاذ الأعظم ·

لم يقف ادريس راغب مكتوف اليدين ازاء ما حدث · فقد أسرع في الثالث من اكتوبر بعقد جلسة أخرى في مقر المحفل ، وأعلن فيها عدم اعترافه بمشروعية الانتخابات التي جرت في غيابه، وتحدث عما حدث في الجلسة السابقة من فوضى مدبرة شارك فيها بعض الأجانب مما اضطره الى تأجيل عملية الانتخاب · ثم قام باجراء الانتخاب ، فكانت نتيجته فوزه بمنصب الأستاذ الأعظم وفوز بعض أنصاره من اليهود بمناصب رئيسية ، مثل سلمون جولدشتين الذي أختير « أمين خزينة أعظم » ، أي أمين صندوق ، والبرت بزيات « مرشد أول أعظم » كما أجرى جرد لصـــندوق الخيرات بالمحفل ظهر منه أن الصندوق لا يحتوى الا على جنيه واحد وثمانمئة وستين مليما(١٢٥) · وطالب راغب بوقف كثيرين من الاخـــوان ومحاكمتهم على ما اقترفوه في حق المحفل ورئاسته · وكان هؤلاء هم أبطال حركة التمرد التي نصبت ولي العهد · وأضاف راغب أن

الاجتماع السابق غير مشروع ، وأن محمد على نفسه لا حق له فى الترشيح أو الفوز ، لأنه لم يكن عضوا عاملا بالمحفل ، ولم يسبق انتخابه رئيسا لأى محفل ، ولا فى منصب عال بالمحفل الأكبر ذاته ٠

ولم يكتف راغب بهذه الاجراءات ، بل اصدر اوامره بوقف بعض أعضاء المحفل الأكبر ، وكذلك بعض المحافل التابعة له ٠٠ وانذر محمد على ببرقية فى ٩ اكتوبر وخطاب فى اليوم التالى ٠ ثم أصدر أمرا بايقافه عن الأعمال الماسونية تمهيدا لمحاكمته ٠ كما اوقف عددا من الأعضاء اليهود المتشيعين للأمير ، وهم : صاموبل ليفى ، شنطوب ليفى ، ايلى حتويل ، ماركو كوهين ، موريس دانا ، ايزاك كروب ، شالومه لزرع ٠ واعلن ان هؤلاء سيقدمون للمحاكمة. ثم أصدر منشورا لعموم المحافل الماسونية حول الموضوع ، واخطر المحافل الأجنبية بما حدث ٠

أرجع راغب السبب فى هذا التمرد الى انه أوقف بعض الاخوان لارتكابهم مخالفات ماسونية ، واعلن عن تقديمهم للمحاكمة خلال اشهر الصيف ، ولكنهم تآمروا عليه ، وأوعزوا الى الأمير محمد على بالتقدم والترشيح لمنصب الأستاذ الاعظم ، ثم تجمهروا داخل مقر المحفل جالبين معهم عددا من « الأجانب » ، وأرغموه (راغب) على سحب أوامر ايقافهم ٠ ولكن راغب لم يذكر قصة النداء كسبب للتمرد ٠ ومن الواضح أن قادة التمرد كانوا هم انفسهم الأعضاء اليهود الذين ذكرنا اسماءهم ٠ ويبدو ان الخلاف بينهم وبينه كان بسبب « البيان » الذى حاول فيه تخفيف وقع ندائه السابق ٠

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ٠ فقد تطورت الأمور بعد ذلك بطريقة درامية ٠ اذ رفع راغب دعوى مستعجلة ضد المتمردين ، وصدر حكم فيها فى ٢٨ اكتوبر يقضى بتعيينه حارسا قضائيا على المحفل لحين الفصل فى النزاع ٠ ولكن محمد على وأنصاره عدوا

الحكم باطلا فى شكله وموضوعه · وقام عدد منهم بالاستيلاء على أوراق المحفل ، ومن بينها نصوص المعاهدات التى عقدها راغب مع الشـــروق الأجنبية · وفى الوقت ذاته تحالف الموقعون على نداء المحفل وبيانه السابقين ضد راغب ، وانضموا الى محمد على ·· وبدأت سلسلة من التحرش بين الفريقين · وأصبح المحفل الأكبر ذا هيئتين ، واحدة برئاسة محمد على والأخرى برئاسة ادريس راغب · وتجمع انصار الأول فاصدروا مجلة « الميثاق » فى ١٥ مايو ١٩٢٤ بعد أن توقفت « المجلة الماسونية » التى اصدرها راغب ·

لقد حدث الانقسام على أى حال · وبدأ انصار محمد على يتحدثون عن خصومهم مستخدمين تعبير « فريق الخوارج » كما سماهم عبد المجيد يونس كاتب السر الأعظم (الأمين العام) للمحفل الذى شغل منصبه فى العهدين(١٢١) · وبدأ انصار ادريس فى الكيد لخصومهم · ومن ذلك أنهم ابلغوا السلطات ان المحفل الذى يرأسه محمد على يعقد اجتماعات سياسية ، وانه اقام حفلا فى ١٠ ديسمبر ١٩٢٣ القيت فيه كلمـــات وخطب معادية للملك · وحققت النيابة العامة فى البلاغ ، واكتشفت ــ كما يقول يونس ــ أن المحفل الأكبر الوطنى المصرى « بعيد عن الاشـــتغال بالأمور السياسية » وأن القصائد والخطب التى القيت فى تلك الحفلة تضمنت الدعاء وشعائر الاخلاص والولاء للمقام الأعلى ولولى العهد الكريم كما ذكر ذلك بجريدة « المقطم » مفصلا »(١٢٢) · وعلى مدى عام بعد ذلك ظل التراشق والكيد بين الفريقين قائمين · وحاول انصار محمد على وضع حد لهذا ، فاصدروا المنشورات والبيانات طالبين من الكتاب من أبناء العشـــيرة عدم الخوض فى الخـــلافات القـــائمة بين الفريقين(١٢٣) · ومع ذلك انتهت الأزمة باستقرار رئاســـة المحفل للأمير محمد على ، وخروج ادريس راغب ملوما محسورا ·

يقول حنا أبو راشد ـ أحد الشـاميين الذين عاصـــروا تلك المرحلة ونشطوا خلالها ـ مصورا ما حدث :

« فى عام ١٩٢٢ أسر الوشاة فى اذن الملك فؤاد أن البرنس محمد على ولى العهد سيتولى الأســـتاذية العظمى للمحفل الأكبر الوطنى المصرى ، ويسنده الأخ عبد المجيد يونس السكرتير الأعظم، حتى اذا تمكن استولى على عرش مصر بحراب الانجليز ، فطلب الملك من ادريس راغب أن يرشح نفسه ، يناصره محمد رفعت بك ، ولم يحن تاريخ الانتخاب حتى حشد الفريقان مئات من الموظفين والأعيان فى صفوف الناخبين ، وهم لا يفقهون من الماسونية الا اسمها · وهذا الجهل دفعهم الى حرم الهيكل وخزائن السكرتارية ، ونثروا أوراقها بعد احراقها ·· وبين صفوف الثائرين صعد محمد على على عرش الأستاذية » ·

ويستطرد أبو راشد قائلا :

« وبعد انشقاق المحفل الأكبر المصرى على نفسه بصـــورة مستهجنة خرج جماعة من زعماء الماسونية ، ومنهم الاخوان حسن نشأت باشا والسيد على باشا ومحمد رفاعة بك ومحمد رفعت بك ، وأحيوا « الشرق الأعظم المصرى » برئاسة الأستاذ الأعظم ادريس بك راغب ، واتخذوا له مكانا فى عمارة مانوزاردى ، وضموا اليه جملة محافل ، ثم نودى بالأخ محمد رفاعة بك أستاذا أعظم ومحمد رفعت السكرتير الأعظم · وذلك بعد وفاة ادريس بك راغب الذى ضحى بماله وفكره فى سبيل المحفل والشرق الأكبر » ·

ويستطرد مرة أخرى :

« ولم ينحصر هذا الانشقاق بداخلية المحفل الأكبر · بل تعداه الى انحاء الشرق الأوسط ، حيث أن جميع المحافل كانت تشتغل

تحت رعاية المحفل الأكبر الوطنى المصرى · فمنها من تبع الشــرق الأكبر الذى يرأسه ادريس راغب ومنها من تبع المحفل الأكبر الذى يرأسه البرنس محمد على »(١٢٤) ·

ولما تفاقم الانشقاق تألفت لجنة عام ١٩٣٤ ـ كما يقول ابو راشد ـ بهدف اصلاح المحافل ورأب الصدع فيها · وتكونت اللجنة من خمسة ماسونيين هم : أبو راشد (رئيس محفل أمير الصعيد) ومحمد فاضل (باشا) وفريد قسيس (رئيس محفل عمانوئيل) ومصطفى حلمى عزب ، وعبد السلام فهمى (بك) · وقد نجحت هذه اللجنة فى مهمتها كما يقول صاحب الرواية · ولما شغر منصب الأستاذية العظمى بوفاة محمد رفاعة عرض المنصب على أحمد ماهر (باشا) فقبله وانتخب أستاذا أعظم(١٢٥) · وظل يشغل هذا المنصب حتى مصرعه عام ١٩٤٥ · وفى عام ١٩٥٠ تولى فؤاد سراج الدين (باشا) الأستاذية العظمى حتى قيام الثورة ·

غير أن هذه المرحلة كلها انتهت مع قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ · وكانت الماســونية ـ كما رأينا ـ قد فقدت الـكثير من احترامها ، حتى عند بعض انصارها · وكان للتطورات الســلبية اثر فى فقدان هذا الاحترام · ولم ينجح زعيمها محمد على وخلفاؤه فى أن يقوها شر التورط فى الســياسة بعد ازمتها الخطيرة عام ١٩٢٢ · فقد ظلت تتدخل فى قضية فلسطين ، ولاسيما فى السنوات ١٩٢٩ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٩ التى شهدت ثورات الجهاد الفلسطينى · وكان أبرز مظاهر التدخل اذاعة المنشــورات بفرض التوفيق بين العرب واليهود ، وارسال الوفود الى فلسطين للسعى من أجل هذا التوفيق · وبسبب هذا كله وقعت السلطات الماسونية فى مصر فى صراع دائم مع اللجنة الفلســطينية العربية ورئيســها محمد على الطاهر · ولم يتوان الرجل عن فضح الأهداف الماسونية ووسائلها عن طريق الكتابة الى الصحف ·

الفصل الثالث

مرحـــلة الانقـــراض

كانت المرحلة الأخيرة (١٩٤٨ ـ ١٩٦٤) من مراحل الماسونية فى مصر اقصر واخرس من المرحلتين السابقتين . ولكنها تميزت ببعض التغيرات الجوهرية التى اثرت فى مسار الماسونية وحركتها . واهم هذه التغيرات ظهور اسرائيل ، وهجرة أعداد كبيرة من اليهود اليها او الى غيرها ، وقيام الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وتغييرها الشامل لوجه الحياة فى البلاد ، وجلاء الانجليز فى يونيو ١٩٥٤ . وبهذه التغيرات الثلاثة فقدت الماسونية مساحة كبيرة من الأرض التى تقف عليها . ومن خلالها انطلق الكتاب فى التأكيد على الربط بين الماسونية والصهيونية الذى ظهرت بوادره فى المرحلة السابقة . ومرت الماسونية بثلاثة تطورات أساسية :

ا ـ ازدياد الدعاية المضادة .

ب ـ الانكماش التدريجى للمحافل .

ج ـ اهمال الدولة .

وفيما يلى نناقش كل تطور من هذه التطورات الثلاثة على حـدة :

(ا) ازدياد الدعاية المضـادة :

لم تشهد المرحلتان السابقتان ـ مرحـلة التأسيس ومرحلة

الاستقرار – دعاية مضادة مثلما شهدت فى هذه المرحلة . وقد انصبت هذه الدعاية المضادة على صلة الماسونية بالصـــهيونية . ومهما دافع أصحاب الماسونية فى أوربا عن حيادها فى هذا المجال فقد قدم أصحابها فى مصر – فى سنة ١٩٢٢ – وقودا مهما لاشتعال هذه الصلة ، وهى صلة اقل ما يقال عنها – فى ضوء ما مر بنا – انها جاءت نتيجة تشكيل اليهود مر كزقوة فى المحافل ، وتســـلل الصهاينة منهم داخل صفوف الماسونية لاستغلالها على النحو الذى حدث . ومهما كانت براءة ادريس راغب ، وحســـن نيته فى تأثره بالضغط الصهيونى ، فليس من الممكن اعفاؤه من مسؤولية مساعدة الصهيونية والانقياد لرغباتها . ولو كان الأمر أمر تهدئة الخواطر فى فلسطين وقتها ، حتى يمر مولد النبى موسى بسلام ، لما احتاج هذا الأمر الى تلك الديباجة الطويلة ، أو الزج بفكرة الوطن المشترك التى كان الصهاينة فى مصر يروجونها فى صحفهم ، فى سبيل كسب عطف المصريين على قضية اضطهاد اليهود .

لقد ظهر فى المرحلة السابقة نحو ٢٦ كتابا مؤلفا ومترجما عن الماسونية لم يكن بينها سوى كتاب واحد ضدها ، وهو كتاب « تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة » لمحمد عبد الله عنان . ومع ذلك فهذا الكتاب ذاته لم يقتصر على الماسونية ، وانما تناولها ضمن الجمعيات الســـرية الأخرى ، ولم يظهر فى المرحلة الأخيرة عنها سوى كتابين دعما العداء لها ، وهما : الصـــهيونية والماسونية لعبد الرحمن سامى عصمت ، الجمعية الماسونية : حقائقها وخفاياها لأحمد غلوش . ولكن الكتابين لم يكتبا بطريقة علمية مقنعة ، وانما غلب عليهما الانشاء والتعميم والتحيز .

واذا كانت الصحف الماسونية المتخصصة توقفت قبل بداية هذه المرحلة فقد بدأت الصحف ذات الاهتمام العام فى نشـــر الدعاية

المضادة للماسونية خلال هذه المرحلة الأخيرة . كما بدأت الصحف التى تمادت فى تأييدها للماســـونية فى التراجع عـــن موقفها مثل « المقتطف » ، أو التخفيف من التمادى مثل « المقطم » .

لقد كانت « المقتطف » ـ كما رأينا ـ أقرب إلى المنبر النظرى للدعوة الماسونية . ولكنها ظهرت فجأة بموقف مضـــاد تماما فى مارس ١٩٥٠ . ففى عدد ذلك الشهر نشرت مقالا دون توقيع بعنوان « فضائل الماسونية : لا حرية ولا اخاء ولا مساواة » فى هذا المقال تتلخص الدعاية المضادة خلال المرحلة على نحو أك غوغائية مما نشر بعد ذلك . ويبدو من أسلوبه ان كاتبه نقولا الحـــداد الذى تولى تحرير المجلة خلال سنتى ١٩٤٩ ـ ١٩٥٠ . وكان قـــد نشر بمجلة « الرسالة » عقب اشتعال الحرب فى فلسطين سنة ١٩٤٨ سلسلة طويلة من المقالات ركز فيها على فضح تاريخ اليهود الصهيونية .

واستهل الحداد مقاله بقوله :

« الماسونية كما فهمناها هى جمعية يقال انها ســـرية . ونحن نعلم الا سر عظيم الشأن فيها أو مفيدا للبشرية والحـــضارة سوى علامات الدرجات ، ومؤامرات سرية مختلفة الأغراض — وفيما سوى ذلك فهى فى دعوى أصحابها جمعية انسانية تأمر بالمـــعروف وتنهى عن المنكر . هاتان الوصيتان من مزايا القرآن والانـــجيل ، ومن مبادىء النصارى والمسلمين . فاذا لم يكن للماسونيـــة تعاليم آخر أفضل من هذين التعليمين فلا لزوم لها . واذا كان الانـــجيل والقرآن لم يرقيا الروح الانسانية فى البشر فتعاليم الماسونية لا تستطيع أن ترقى البشر فى الفضيلة والانسانية » .

ومضى بعد ذلك فتحدث عن المسيحية والاسلام اللـــذين لا لزوم لقول بعدهما . وقال ان العالم لا تنقصه ديانة ولا جمـــعية تعليمية ،

أعظم للمحفل الأكبر الوطنى المصرى · وأصدر المؤتمر الماسونى الثالى المنعقد فى بيروت فى يونيو ١٩٥٠ قرارا بتأييد المحفل المصرى « برئاسة صاحب الشوكة معالى فؤاد سراج الدين باشا »(١٢٧) ·

(جـ) اهمـــال الدولة :

كانت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ بداية النهاية للماسونية فى مصر ، وبداية مرحلة جديدة شهدت العديد من التغيرات العنيفة ، وعلى رأسها انقلاب النظام فى مصر · ولكن النظام الجديد الذى حل فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لم يمس الماسونية على الفور ، أو بالتدريج، مثلما مس جميع مؤسسات النظام القديم · فقد اهملتها الدولة ، وتساقطت أوراقها ، وانفض سامرها · ومع ذلك لم يحدث هذا كله دفعة واحدة · ففى يونيو ١٩٥٣ ، أى بعد نحو عام من بداية النظام الجديد نشرت مجلة « الفن » تحقيقا مصورا بعنوان « الفن تتسرب الى القاعات السرية بالمحفل الماسونى : تثبيت يوسف وهبى رئيسا لمحفل الفنان المصرى ، وتكريس محسن سرحان » وجاء فى هذا التحقيق المدعوم بالصور :

« كان ذلك فى مســاء الثلاثاء الماضى ، وقد حفلت الدار الماسونية بجمهور كبير من الفنانين الماسون ، نذكر منهم يوســف وهبى ومحسن سرحان وفريد شوقى وأحمد كامل مرسى ومحمود المليجى وفؤاد شفيق وعبد السلام النابلسى وحلمى رفله وحسين رياض ومحمود فريد وعيسى أحمد وعلى رشدى وأحمد سعيد وغيرهم كثيرون ·· ومن فرجة فتحت قليلا شاهدنا محسن معصوب العينين ، وقد وقف بين يوسف وهبى وعيسى أحمد · وكان كل منهما يرتدى الزى الرسمى للماسون ، شاهرا بيده سيفا من الخشب ، حلق به على رأس محسن سرحان ·· وأغلقت الفرجة ، وانقطع كل اتصال بيننا وبين ما يجرى فى الداخل »(١٢٨) ·

ومن الواضح فى هذا الكلام أن الفنانين لم يجدوا مايمنعهم عن هذه الظاهرة الماسونية ، وأن يوسف وهبى ورفاقه شكلوا محفلا طائفيا ، بمعنى الاقتصــــار على طائفة الممثلين وفنانى المســـرح والسينما · ولا ندرى طبيعة عمل هذا المحفل ، ولكن يبدو انه كان نوعا من المظهر الاستعراضى دون جدية ·

عندما وقع العدوان الثلاثى على مصر فى اكتوبر ١٩٥٦ تأثر موقف اليهود داخل البلاد بالطبع ، وبدأت هجرتهم مرة اخرى فى اعقاب العدوان · واصدر المحفل الأكبر الوطنى المصرى قرارا بوقف « نشاط الاخوان اليهود فى الناحية الماسونية » وبرر ذلك بانه ابعاد « للشبهات والظنون عن العشيرة وخدمة لليهود الاخوان انفسهم » على حد تعبير صيغة القرار · وعندما هدأ الموقف أصدرت بعض المحافل بيانا آخر طلبت فيه من اليهود « العودة الى نشاطهم » · ولكن يبدو أن هذا البيان لاقى معارضة شديدة داخل المحافل الماسونية ، وعده البعض غير قانونى ، واستمسك البعض الآخر بالبيان الأول الذى قضى بتجميد عضوية اليهود · ويبدو أيضا ان ذلك جاء بايعاز من السلطات أو كنوع من حسن النية من جانب الأعضاء الماسونيين المصريين من غير اليهود · وقد حذر قرار المحفل الأكبر ــ كما فسره هؤلاء ــ الاخوان الماســـونيين من المخـــالفة حتى لا تقع التفرقة والانقسام بين صفوف العشيرة(١٢٩) ·

هذه التطورات الثلاثة كانت ســـلبية فى الحقيقة من منظور الماسونية · وقد ساهمت ــ فى الوقت ذاته ــ فى بلورة تطور آخر سلبى ، أو هو التطور الأخير اذا شئنا الدقة · ففى ١٨ ابريل ١٩٦٤ أصدرت وزيرة الشؤون الاجتماعية قرارا بحل الجمعيات والمحافل الماسونية · وهذا نص القرار كما نشرته صحيفة « الأهرام » فى اليوم التالى :

« أصدرت الدكتور حكمت أبو زيد ، وزيرة الشئون الاجتماعية، امس قرارا بحل الجمعيات الماسونية ، وهى : المحفل الماسوني اليوناني ، ومحفل خوفو فى القاهرة ، والمحفل الأكبر الوطني لوادى النيل بالاسكندرية وفروعه بالاسماعيلية وهى محافل اسماعيل وزيتون والمساواة ، وجمعية الشرق الأكبر المصرى وفروعها فى بورسعيد وفروعها بمحافظات بورسعيد والقاهرة والاسماعيلية وهى محافل التوفيق وسولون وفينكس ولايركيبوت والتحرير وأوزوريس وفتراتيوس ، ومقام سولون ولايرنيكون ، والقومية وجاريبالدى وجلوث ، ومقام ايزيس ، والوحدة ، ومقام جلوث ، واسماعيل رقم ٢ ، وهرميس ، وايزيس ، والجمعية الخيرية الماسونية بالمنصورة .

« وينص القرار على ان تقوم مديريات الشؤون الاجتماعية بتعيين من يقوم بتصفية الجمعيات التى تقع فى دائرة اختصاصها ، وتوجيه اموال الجمعيات الماسونية جميعها بعد التصفية الى اللجان الفرعية لمعونة الشتاء فى المحافظات التى تقع فى دائرة اختصاصها هذه الجمعيات »(١٢٠) .

يتضح من هذا القرار ان عدد المحافل الكائنة فى ذلك الوقت بلغ ٢٦ محفلا ، وان معظمها محافل يونانية . كما يتضح أن المحفل الأكبر الوطنى نقل مقره من القاهرة الى الاسكندرية . ولكن ربما تم ذلك النقل قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . فلا توجد معلومات مؤكدة فى هذا الخصوص .

وقد تلا نشر هذا القرار اقبال الصحف على نشر تحقيقات عن الماسونية وأسرارها وتجارب اعضائها السابقين . وكان مما نشرته « الأهرام » ان سبب وقف نشاط الماسونيين هو ان

« اجتماعاتهم كانت سرا مغلقا حتى على الدولة » وأضافت الصحيفة أن مندوبى الشؤون الاجتماعية عثروا فى المحفل الأكبر على سيوف وخناجر وكتب قديمة • ولم تبين الصحيفة طبيعة هذه السيوف والخناجر • فلم تكن من قبيل الأسلحة أو تخزينها والا لحوكم أصحابها ، وانما كانت ـ على الأرجح ـ سيوفا وخناجر قديمة مما يستخدم كرموز للماسونية فى المحافل(١٣١) ونشرت مجلة « آخر ساعة » تحقيقا بعنوان « سر خطير وراء حل الجمعية الماسونية » جاء فيه :

« عندما طلبت الجمعيات الماسونية بالجمهورية العربية المتحدة تسجيل تنظيماتها بوزارة الشؤون الاجتماعية طلب منهم المسؤلون تطبيق قانون الجمعيات عليها • وهذا القانون يحتم خضوع كل الجمعيات داخل الجمهورية لاشراف وزارة الشؤون الاجتماعية ، ويكون للمسؤولين فى الوزارة حق التفتيش على أعمال الجمعية للتأكد من عدم مخالفتها القانون • ورفضت الجمعيات الماسونية ذلك لأنه يتعارض مع السرية التامة التى تعيش فيها ، فقررت الحكومة الغاء الجمعيات الماسونية فى مصر • ولم يكن هذا هو السبب الوحيد لالغاء الجمعيات الماسونية •• أن أمن الدولة وسلامتها اقتضيا الغاء هذه الجمعيات أيضا • فقد قررت الصهيونية استغلال المحافل الماسونية فى جميع انحاء العالم لمزاولة نشاطها بضمان سرية ما يجرى داخل هذه المحافل »(١٣٢) •

ومعنى هذا أن المحافل الماسونية هى التى طلبت التسجيل فى وزارة الشؤون الاجتماعية المختصة بنشاط الجمعيات والأندية بجميع انواعها ، فلما واجهتها الوزارة بضرورة تطبيق القانون رفضت بحجة السرية • ولكن من الواضح أن قرار الغاء المحافل كان ذا سبب سياسى ، وهو ما فسره محرر « آخرساعة » باستغلال

الصهيونية للمحافل الماسونية · ومع ذلك لم يكن هذا الاستغلال ابن ساعته ، ولا ندرى ان كان قد صدر به قرار صهيونى ام لا ، ولكننا ندرى من تجربة ١٩٢٢ ، التى اشـــرنا اليها من قبل ، ان استغلال الصهيونية للماسونية مسالة قديمة لم تكن معروفة لصاحبة القرار السابق ·

غير أن هذا القرار ، وما تلاه من اعلام متحمس متزايد ضد الماسونية ، كان له صدى واسع فى البلاد العربية التى كانت محافلها تحت رعاية المحفل الأكبر المصرى ، مثل سوريا ولبنان وفلسطين والعراق · فقد قررت سوريا اغلاق المحافل الماسونية فى اغسطس ١٩٦٥ · وفى ذلك الشهر قرر لبنان الغاء عقد المؤتمر الماســـونى العالمى ، الذى كان مقررا عقده فى بيروت ، خوفا من تسلل العناصر الصهيونية · وأصدر الماســـونيون فى الأردن بيانا اعترفوا فيه « باستغلال الصهيونية للماسونية العالمية استغلالا مجرما فى ابشع صورة عرفتها الانسانية » ، وقرروا انشاء منظمة ماسونية باسم « الحركة الماسونية العربية » للبعد عن الاستغلال الصهيونى · كما قرروا الابقاء على الصلة مع المحافل العالمية الصديقة ، من اجل لانصاف عرب فلسطين ونصرة قضية اللاجئين · ومع ذلك اصدر مفتى الأردن العام فتوى بتحريم الدخول فى الماسونية ، بدعوى انها بدعة يهودية ، تقدم الأخوة الماسونية على الأخوة الدينية والقومية وأن الله ينهى عن موالاة الأعداء(١٣٣) · وكان العراق قد سبق الجميع فاغلق المحافل الماسونية (عشرة محافل) على اثر ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨(١٣٤) ·

خاتمـــة

يدعو ما حدث فى مصر الى التساؤل :

لماذا تأخر قرار الحكومة المصرية باغلاق المحافل الماسونية الى سنة ١٩٦٤ ؟

هل كان التأخير من قبيل النســـيان للمحافل التى ران عليها الصمت ولم يعد لها صوت منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ؟

هل كانت الحكومة المصرية تريد احراج المحافل او تركها كى تموت من تلقاء ذاتها ثم تصدر قرارا باغلاقها وتحريمها ؟

ماذا كان مصير سجلات هذه المحافل ؟ هل أعدمها أصحابها أم استولت عليها الحكومة ؟ واذا كان الأمر الأخير هو الصحيح فأين هى الآن ؟

هذه الأسئلة لم يجب عنها أحد للأسف بعد وربما تكشف الأيام جوابها(١٢٥) ٠

ولكن هناك أسئلة اخرى نســـتطيع ان نجيب عنها من واقع ما مر بنا ٠

هل قدمت الماسونية لمصر عملا خيريا مفيدا ؟ هل تركت اثرا يدل على ما ينادى به أصحابها من مبادىء البر والاحسان ؟ هل شاركت الحركة الوطنية فى مقاومة الاحتلال ؟

كل هذه الأسئلة جوابها واحد هو النفى .

لقد نقل الكاتب الانجليزى ستيفن نايت سطرا بالغ الأهمية عن « الكتاب الدولى لحرفة الماسونية » ويقول هذا السطر :

« ان الماسونية تعلم الانسان بوضوح أن أول واجب له يكون نحو نفسه »(١٣٦) واذا فسرنا هذه العبارة تفسيرا عمليا يصبح معناها : أنا وبعدى الآخرون ، أى ان مصلحة العضو تأتى قبـــل مصلحة الأعضاء . وبذلك تصبح الماسونية تنظيما أساسه المصلحة الشخصية . ولهذا فان الماسونيين الانجليز الكثيرين الذين اعترفوا لنايت بأنهم استفادوا فى التجارة من « اخوانهم » . أو ســـهلت مصالحهم مع القوامين على المجتمع بسبب ماسونيتهم . لم يكذبوا أو يبالغوا . فذلك هو الأساس عند عامة الماسونيين : حك ظهرى أحك ظهرك ، كما يقول المثل الانجليزى . ولكن هذه المصالح الفردية فى أساسها لابد أن تتعقد حين تسيطر على المحافل مراكز قوة معينة . وعندئذ يوجه كل مركز منها المصلحة بالطريقة التى يريدها . وهذا ما حدث فى الغالب فى صفوف ماسونية بلد مثل مصر ، حيث كانت المحافل مراكز لادارة المصالح الفردية أو الجماعية ، حسب ثقل مراكز القوة بها ، وكانت أيضا مراكز للمعلومات والتنســـيق بين المصالح ، مهما كانت شـــعاراتها أو مبادئها الخيرية المعلنة على الناس .

لقد بدأت الماسونية فى مصر ــ كما رأينا ــ بهدف رعاية مصالح الأقليات الأجنبية التى أسستها . ولما ازدادت فيها نسبة الأهالى ، أو العنصر الوطنى ، بدأ التطلع ــ تحت مظلة السرية ــ الى تحقيق أهداف ذات طابع وطنى كما حدث مع الأمير حليم الذى حـــاول استغلال الماسونية فى الوصول الى الحكم ، وكما حدث أيضا مع الأفغانى الذى حاول استغلالها فى التخلص من اسماعيل وتثبيت

ولاية ابنه توفيق . وكان ذلك فى الحالتين أشبه بحركة « اللوبى » ، أو قوى الضغط ومراكز القوة فى السياسة . ثم انتهت تلك المرحلة التى حاولت فيها الماسونية أن تؤسس نفسها فى مصـــر بالاحتلال الانجليزى .

وبدات مرحلة الاحتلال ـ كما رأينا ايضا ـ دون أن تتأسس الماسونية . فكان من الطبيعى أن تنضــوى تحت لواء الانجليز ، لسببين : أولهما أن معظم أعضـــاء المحافل أجانب ، والآخر أن الانجليز هم أول من أسس الماسونية فى العالم . وهكذا تميزت تلك المرحلة باستقرار الماسونية وتوسعها وازدهارها من جهة ، وابتعاد الحركة الوطنية عنها تماما من جهة اخرى ، على عكس ماحدث فى المرحلة السابقة حين حاولت الحركة الوطنية الاستفادة منها(١٣٧) . ونتيجة لهذه الظـــروف نجح اليهود ـ بازدهارهم وتحالفهم مع الانجليز ـ فى الاستفادة منها فى تحقيق أحلامهم الصهيونية حتى نهاية المرحلة سنة ١٩٤٨ .

وفى مرحلة النهاية الأخيرة صمتت الماســونية وتعرضــت للانقراض حتى الغيت رسميا سنة ١٩٦٤ .

فى كل هذه المراحل الثلاث لم تترك الماسونية اثرا طيبا على المستوى العام ، اجتماعيا أو سياسيا . وبذلك لم تعمل بمبادئها ، ولا كفت يديها عن العبث السياسى . ولم يبق منها فى النهاية سوى سوء الذكر وآلاف الصفحات وأبيات الشعر التى دبجها المخدوعون بها أو الذين فى قلوبهم غرض . أما على المستوى الفردى فربما أحسنت على كثيرين وسهلت مصالح الكثيرين أيضا . ولكن هذا لا يبقى فى التاريخ كما يبقى الاحسان العام والمصالح العامة للأمم والجماعات .

ملاحق

مصطلحـات ماســونية

هذا بيان بأهم المصطلحات الشائعة فيما يكتب عن الماسونية فى الانجليزية والفرنسية :

الماســونية العملية : Operative Masonery

هى الماسونية الأصلية التى ارتبطت بأعمال البناء القديمة ، وتشكل المرحلة القديمة ·

الماسونية الرمزية : Speculative Masonery

هى الماسونية التى اتخذت بعض رموز الماســونية القديمة واشاراتها وأدواتها فى صنعة البناء ، وتشكل المرحلة الحديثة ·

المحفـــل : Loge, Lodge

وهو الوحدة الماسونية الأولى ، أو الخلية الأولى فى مجتمعها ·· ويتألف من أعضـــاء مقبولين ، أى تم اختبار حســـن نيتهم واستعدادهم وصلاحيتهم · وقد أخذ المصطلح من الاسم القديم الذى كان يطلق على أكشــاك البنائين خارج المبانى أو الأعمال الجارى

بناؤها . وكان البناؤن يتجمعون فى هذه الأكشـــاك للمبيت ، أو تنظيم الواجبات ، أو تلقى الأجور .

المجمـــع : Chapitre, Chapter

وهو الوحدة أو الخلية التنظيمية الأعلى . ويتألف من مجموعة محافل فى منطقة معينة داخل البلد الواحد .

المحفل الأعظم : Grand loge, Grand Lodge

وهو الوحدة أو الخلية العليا التى تشرف على المجامع والمحافل الفرعية .

الشـــــرق : Orient, East

وهو هيئة تشــــرف على مجموعة محافل ومجامع فى عدة بلدان . .

درجـات المـاسـونية

يتدرج عضو المحفل الماسونى فى سلم من الدرجات يصل الى ٣٣ درجة على مستوى البلد الواحد ، كما فى انجلترا • ولكن هذه الدرجات الثلاث والثلاثين لا يعرف عنها الكثيرون من اعضـاء المحافل شيئا • فالمشـهور منها ثلاث هى الأولى • وهذا بيان بالدرجات الثلاث والثلاثين كما تعرف فى الانجليزية :

١ ــ التلميذ او الصبى •

٢ ــ زميل الصنعة أو الرفيق •

٣ ــ الأستاذ أو الأسطى

٤ ــ الأستاذ السرى •

٥ ــ الأسـتاذ الكامل •

٦ ــ السكرتير ، أو الأمين ، المقرب •

٧ ــ الوصى والقاضى •

٨ ــ مراقب البناية أو المنبه •

٩ ــ مختار التسعة •

١٠ ــ مختار الخمسة عشر •

١١ ــ المختار الجليل •

١٢ ـ الأستاذ المهندس الأعظم

١٣ ـ القوس الملكية ٠

١٤ ـ فارس الكمال الاسكتلندى ٠

١٥ ـ فارس السيف أو فارس المشرق

١٦ ـ أمير القدس ٠

١٧ ـ فارس المشرق والمغرب ٠

١٨ ـ فارس البطريق والنسر والأمير العاهل للصليب الوردى ٠

١٩ ـ الحبر الأعظم ٠

٢٠ ـ الأستاذ الأعظم المبجل ٠

٢١ ـ البطريرك النوكى ٠

٢٢ ـ أمير لبنان ٠

٢٣ ـ رئيس المعبد ٠

٢٤ ـ أمير المعبد ٠

٢٥ ـ فارس الأفعى النحاسية ٠

٢٦ ـ أمير الرحمة ٠

٢٧ ـ حامى المعبد ٠

٢٨ ـ فارس الشمس ٠

٢٩ ـ فارس القديس أندرو ٠

٣٠ ـ الفارس المنتخب الأعظم قادوش ، فارس النسر الأسود والأبيض ٠

٣١ ــ المفتش الأعظم القائد المحقق ·

٣٢ ــ الأمير الجليل للسر الملكى ·

٣٣ ــ المفتش العام الأعظم ·

ويلاحظ أن بعض هذه الدرجات مأخوذ من صنعة البناء ، ولاسيما الثلاث الأولى ، وأن معظم الدرجات مأخوذ من التوراة والانجيل · ويلاحظ أيضـــا أن الدرجة الأخيرة (المفتش العـــام الأعظم) لا يحتلها فى بلد مثل انجلترا سوى ٧٥ شخصا ، وأن الدرجة كلما علت قل عدد شاغليها ·

هناك أيضا درجات محلية فى كل محفل تمنح بالانتخاب وتشغلها هيئة موظفى المحفل ، وهى :

١ ــ الأستاذ (الأعظم)

٢ ــ نائب الأستاذ (الأعظم)

٣ ــ نائب ثانى الأستاذ (الأعظم)

٤ ــ منبه أول (أعظم)

٥ ــ منبه ثان (أعظم)

٦ ــ كاتب سر أو أمين (أعظم)

٧ ــ حامل علم (أعظم)

٨ ــ مرشد (أعظم)

٩ ــ أمين خزينة (أعظم)

مع ملاحظة ان كلمة « الأعظم » تضاف للعاملين بالمحفل الأعظم اى المحفل المشرف على المحافل الأخرى فى البلد الواحد ·

المحفل الأكبر الوطنى المصرى
للبنائين الأحرار القدماء المقبولين

نداء الى أهالى فلسطين

باسم الحرية والاخاء والمساواة التى هى الشعار المقدس للماسونية ذات المبادىء الخالدة .

وباسم السلام العام الذى تدعو اليه جميع المذاهب الفلسفية وتأمر به كل الأديان السماوية .

يتقدم المحفل الأكبر الوطنى المصرى .

الى ائمة الدين الحنيف وحفظة الشرع الكريم الذين يستمع اليهم عرب فلسطين . .

الى رؤساء جميع الأديان الأخرى ، سواء كانت مسيحية أو موسوية او غيرها ، على اختلاف النحل والمذاهب .

الى اهل العقول الراجحة والبصيرة النيرة الذين يصدعون بالحق ، وفى الحق لا يخشون لومة لائم .

- الى أرباب الأقلام والصحف الذين يقتدى بهم الخاصة ويهتدى بهم العامة ·

الى أكابر المسلمين واعيانهم الذين يغارون على مجد أسلافهم الكرام ، أولئك الأسلاف الذين سبقوا الناس كافة فشرعوا للانسان حرية الفكر وحرية القول وحرية العمل ·

الى أصحاب المناصب وذوى الحل والعقد المسـؤولين أمام خالقهم وأمام ذمتهم عن حفظ السلام واقامة القسطاس بين جميع المتوطنين فى فلسطين ·

الى التجار الذين تتنافر مصالحهم مع العنف والعدوان وسفك الدماء وتخريب العمران ·

الى العمال والصناع الذين يسـتفيدون ويفيدون من ازدياد أسباب الثروة وتوافر عوامل الرخاء فى فلسطين ·

الى أصحاب المزارع والضياع وأرباب المسقفات والمبانى الذين سيكون نماء العمار فى بلادهم سببا لتدفق الثروة عليهم ·

الى المزارعين والأكارين الذين سينالون أكبر المنافع باستخدام الأسـاليب الحديثة التى لا تلبث أن تتوافد عليهم فتعمهم الرفاهية وتتحسن أحوالهم المادية والأدبية ·

الى الشباب الناهض الذى سيجنى أكبر الثمرات مما سيقام فى فلسطين من معاهد العلم ، مثل ماجناه أبناء سورية مما أسسه المرسلون الدينيون فى بيروت وغيرها ، مع ما هى مصبوغة به من الصبغة الدينية · فاما المعاهد التى ستقام فى فلسطين فلا تكون الا علمية محضة وطنية بحتة ، فيكون من شأنها احياء الشرق وتجديد فخاره الماضى واعادة مجده القديم وارجاع أهله الى مـكانتهم السـامية ·

الى المشاغبين ، أولئك الذين لا تؤدى أعمالهم الى شىء آخر سوى الضرر بمصالح العرب الحقة ، والى أولئك الذين يسوقون من خلف الستار بنى قومهم السذجين الى العبث بذمة العرب الكرام والى ارتكاب الاثم والعدوان ·

الى اولئك الذين يتوافدون من كل فج عميق لزيارة قبر الكليم « النبى موسى » عليه السلام ، فى يوم موسمه القادم الذى هو رمز المحبة والسلام ،

الى أولئك الذين يغريهم الدساسون الخادعون على اقتراف المحارم وسفك الدماء وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق !

ثم الى الأمة الفلسطينية كلها كبيرها وصغيرها ، رجالها ونسائها ، بلا تمييز بين الأجناس والأديان ·

فيقول للجميع بلسان الماسونية المصرية وبلسان الانسانية :

اذكروا ـ نفعكم الله ـ أن الفرنساويين والانجليز فى بلاد كندا يتالف من عنصريهما المختلفين ، جنسا وسلالة ، أمة واحدة يعيش افرادها جنب الى جنب بسلام وأمان ·

اذكروا أن الألمان والفرنساويين والطليان تتالف منهم « فى بلاد سويسرا » أمة واحدة متجانسة على اختلافها فى اللغات والأديان ، وأن تكاتفهم واتحادهم واجماع كلمتهم منبع قوتهم ومصدر ثروتهم ، وأن فى تماسكهم وتضامنهم حياتهم الشريفة وحريتهم الغالية ·

يا أهل فلسطين

تذكروا أن اليهود هم اخوتكم وأبناء عمومتكم اذ ركبوا متن الغربة فافلحوا ونجحوا · ثم هم اليوم يطمحون للرجوع اليكم لفائدة

وعظمة الوطن المشترك العام ، بما أحرزوه من مال وما اكتسبوه من خبرة وعرفان ·

ان العربي والعبرى صنوان من شـــجرة ابراهيم ، أبواهما اسحق واسماعيل · فمتى وضع احدهما يده فى يد الآخر انتفعا جميعا بما لديهما من الوسائل المختلفة ، وكان فى تعاونهما تمام الخير وكمال البركة باذن الله ·

اسمعوا وعوا هذا الصوت الذى تناشدكم به مصر ، شقيقتكم الكبرى ·

انها تدعوكم الى السلام والوئام لمصلحتكم ولمصلحة الشـــرق وهى فوق كل مصلحة ·

اسمعوا هذا الصوت الذى يدعوكم الى الحكمة وسبيل الرشاد ، هذا الصوت المنبعث عن أرض تفاخر وتباهى بصلاح الدين ، ذلك الملك الجليل الذى أعجب به العالم طرا بما كان له من تســـامح لايزال كوكبه الوضاء يتلألأ فى جبين الشرق والاسلام · فقد كان بتسامحه مع اليهود والنصارى أشرف الملوك وأجلهم قدرا · وما ذلك الا لأنه تشبع بروح الاسلام الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فاستمد رجحانه على كل معاصريه من تلك القوة التى أرسلت أنوار الحضارة على العالم بأجمعه ، تلك هى قوة العرب ·

حافظوا على شرف العرب القديم ، وعلى مجدهم الصميم ، ولا تندفعوا وراء الأيدى الخفية فى تيار الظلم والعدوان · واياكم ثم اياكم أن تسفكوا الدم الذى حرم الله ·

هذا ما رآه المحفل الأكبر الوطنى المصرى · ويقينه أن أهل فلسطين يستمعون لهذا النداء ، وأخصهم العرب ، فانهم هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ·

لقد ادى المحفل الوطنى المصرى الأمانة · وقام بالواجب عليه نحو التضامن الانسانى · ورجاؤه ان يكون لهذا النداء احسن صدى ، فيهب اصحاب الكلمة المسموعة من اخواننا اليهود واخواننا النصارى واخواننا المسلمين المتوطنين فى فلسطين لدعوة أبنائهم وقرابتهم والمؤتمين بهم الى الامتناع عن المحارم والآثام ، والى اجتناب اسباب الشقاق والانقسام فى تلك الأرض المقدسة ، أرض فلسطين ، حتى يسود بين عناصرها الاتحاد والوئام ، ويخيم على ربوعها السلام ·

الأستاذ الأعظم	كاتب السر الأعظم
ادريس راغب	عبد المجيد يونس
نائب الأستاذ الأعظم	مساعد نائب الأستاذ الأعظم
محمد رفاعة	طه ابراهيم

من القاهرة فى ٢ ابريل سنة ١٩٢٢

بيان الى أهالى فلسطين

لقد احدث نداء المحفل الأكبر الوطنى المصـــــرى الى الأمة الفلسطينية الكريمة سوء تفاهم يوجب الأسف · فهو لذلك يرى من واجبه ايضاح قصده منعا للالتباس ·

لم يرد المحفل الأكبر الوطنى المصرى بندائه مصادمة عواطف الفلسطينيين فى أسلوب الدفاع عن حقوقهم أو الاحتفاظ بمصالحهم أو بمطالبتهم بأمانيهم المشروعة أو الاستكانة للغرباء ، وانما أراد عدم حدوث شجار أو شغب أو اراقة دماء فى مدة مولد النبى موسى الكليم الذى يتوافد اليه الكثيرون من انحاء المعمورة · ولذا بادر بنشر ندائه قبل بزمن قصير · وان المحفل الأكبر ليحمد الله على تحقيق ما كان يقصده · فقد ابتدأ المولد وانتهى بسلام · ويرجو أيضا ان يسود هذا السلام على الدوام ·

اما الصهيونيون الذين يفدون من الخـــارج ، ويســـتوطنون فلسطين فللفلسطينيين انفســـهم الحرية التامة فى أن يحكموا اذا كانوا يقبلون ادماجهم فى العنصر الفلسطينى من عدمه ·

وبعد هذا البيان يتعشم المحفل الأكبر الوطنى المصرى أن يكون قد زال كل ما علق بنفوس اخواننا الفلسطينيين من سوء التفاهم .

هذا والمحفل الأكبر الوطنى المصرى يبرأ الى الله أن يكون العوبة تلعب بها أهواء ذوى الأغراض والمصالح الشخصية ، لأنه لم يقدم على نشر النداء الا حبا فى أن يرى السلام سائدا بين جميع العناصر التى تتألف منها الأمة الفلسطينية الكريمة .

وفى الختام يتمنى للفلسطينيين كل سعادة ورفاهية .

القاهرة فى ٢٨ ابريل سنة ١٩٢٢

الأستاذ الأعظم ادريس راغب

كاتب السر الاعظم عبد المجيد يونس

نائب الأستاذ الأعظم محمد رفاعه

مساعد نائب الأستاذ الأعظم طه ابراهيم

ببليوجرافيا عربية عن الماسونية

كتب ـ نشرات ـ صحف

اورد يعقوب لاندو قائمة طويلة بالكتب والنشرات التى صدرت عن الماسونية فى مصر بالعربية والفرنسية والايطالية (Landau, op. cit., PP. 170 — 72.) وقد وجدنا ان القائمة العربية غير كاملة فاضفنا اليها ما استطعنا الحصول عليه او على عناوينه، ثم أعدنا ترتيبها ابجديا ، واضفنا اليها ايضا الصحف العربية الماسونية فى مصر مرتبة تاريخيا ·

اولا : كتب وكتيبات :

١ ـ احمد زكى ابو شادى :

روح الماسونية وآمال الانسانية ، القاهرة ، ١٩٢٧ ·

٢ ـ ....

البناية الحرة أو خطرات عن الماسونية ، القاهرة ١٩٢٧ ·

٣ ـ ....
صوت الماسونية ، القاهرة ، مطبعة عطية ، ١٩٢٩ .

٤ ـ احمد غلوش :
الجمعية الماسونية ـ حقائقها وخفاياها ، القاهرة ، الدار القومية ، د . ت (الستينات)

٥ ـ ادريس راغب :
القانون الماسوني للمحفل الأكبر ، القاهرة ، ١٨٩٢ .

٦ ـ ....
الدرجة الأولي ـ شرح لوحة الرسم ومقالات خاصة بهذه الدرجة وضعتها لجنة من الأسـاتذة بملاحظة الأخ الكلى الاحترام ادريس راغب بك ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٦ (الطبعة الثانية ١٩٠٢) .

٧ ـ ....
رسوم الدرجة الثالثة الرمزية للمحافل الماسونية المصرية ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٨ .

٨ ـ ....
رسوم الدرجة الرمزية للمحافل الماسونية المصرية ، ط ٢ ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٩٠١ .

٩ ـ ....
رسوم الدرجة الثانية الرمزية للمحافل الماسونية المصرية ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٩٠١ .

١٠ ـ الياس منسى :
(مترجم) : النظامات الأممية المسـنونة بمعرفة المجاس

الشوروى السامى للطريقة الاسكتلندية القديمة العهد لفرنسا وملحقاتها ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٨٩٠ .

١١ ـ ....
اصول الماسونية الاسكتلندية (القديمة العهد) ، ط ٢ ، وقف على طبعه ونظر فيه الأخ عبد المسيح انطاكى بك صاحب جريدة العمران ، القاهرة ، مطبعة العرب ، ١٩١٣ .

١٢ ـ ايليا الحاج :
الخلاصـــة الماسونية ، النبذة الأولى ، القاهرة ، مطبعة الترقى ، ١٩٠٠ .

١٣ ـ جرجى زيدان :
تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها الى هذا اليوم ، القاهرة، مطبعة المحروسة ، ١٨٨٩ . وقد اعادت طبعه دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٢ .

١٤ ـ زكى ابراهيم :
صوت الماسونية أو التقويم الماســـونى العام لمحفل منف تقديم عزيز ميرهم ، القاهرة ، ١٩٢٨ .

١٥ ـ شاهين مكاريوس :
الآداب الماسونية ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٥ .

١٦ ـ الجوهر المصون فى مشاهير الماسون .

١٧ ـ ....
الحقائق الأصلية فى تاريخ الماســـونية ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٧ .

١٨ ـ ....
فضائل الماسونية ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٩ .

١٩ ـ ....
الأسرار الخفية في الجمعية الماسونية . القاهرة ، مطبعة التمدن ، ١٩٠٠ .

٢٠ ـ ....
الأزهار العطرية في الماسونية المصرية .

٢١ ـ ....
الماسونية الرمزية .

٢٢ ـ ....
تاريخ الماسونية القديمة وآثارها (مترجم) مطبعة المقتطف ، ١٩٠٢ .

٢٣ ـ ....
الدرجة الماسونية حسب طريقة المحفل الأورشليمي ، القاهرة، مطبعة المقتطف ، ١٩٠٥ .

٢٤ ـ ....
الدستور الماسوني العام للطريقة الأورشليمية .

٢٥ ـ عبد الرحمن سامي عصمت :
الصهيونية والماسونية ، ط ٢ ، الاسكندرية ، مطبعة رمسيس، ١٩٥٠ .

٢٦ ـ محمد عبد الله عنان :
تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ، ط ٢ ، القاهرة، لجنة التأليف ، ١٩٥٤ .

٢٧ ـ مصطفى اسماعيل المصرى :
الهدية الألوى الاسلامية للملوك والأمراء في الداء والدواء القاهرة ، مطبعة البارونية ، ١٣٢١ هـ .

٢٨ ـ نقولا سابا :

اللآلىء الماسونية ، الاسكندرية ، ١٩٠٦ .

ثانيا : كتب ونشرات غير محددة المؤلف أو النشر :

١ ـ دستور المحافل المصرية الوطنية التابعة لعشـــيرة البنائين الأبرار ذوى العهد القديم والراية العامة المصححة ، القاهرة ، مطبعة التأليف ، ١٨٩٣ .

٢ ـ محفل الصدق الموقر ٣٠٥ بشرق شبرا ، القاهرة ، ١٩٠١ .

٣ ـ القانون الداخلى للمحفل من سنة ١٩٠٤ الى سنة ١٩٠٩ ، القاهرة ، ١٩٠٩ .

٤ ـ الحقيقة الجلية فى الشيعة الماسونية ، القاهرة ، ١٩٠٧ .

٥ ـ محفل السلام الاسكتلندى نمرة ٩٠٨ ، د . ت .

٦ ـ المحفل الأكبر الوطنى المصرى : تقرير الأعمال لعام ١٩٢٧ ، القاهرة ، ١٩٢٧ .

٧ ـ نشرة أعمال المحفل الأكبر الوطنى المصرى ، القاهرة ، مطبعة عطايا ، ١٩٢٨ .

٨ ـ محاضرات محفل فرعون : المختار من المحاضرات التى ألقاها كبار الأدباء بالدار الماسونية المصرية (زكريا رشدى وفيلكس فارس ومحمد مظهر سعيد ، ومصطفى فهمى) الاسكندرية ، المطبعة الأهلية ، ١٩٣١ .

٩ ـ الماسونية فى البلاد العثمانية (دون مؤلف أو ناشر أو تاريخ نشر) .

ثالثا : صحف ومجلات (فى القاهرة مالم يحدد مكان آخر للصدور)

(ا) الصحف ذات الاهتمام العام بالماسونية :

١ ــ مصر (١٨٧٨ ــ ١٨٧٩) مارون نقاش وأديب اسحق ٠٠ أسبوعية (الاسكندرية) ٠

٢ ــ البيان (١٨٨٤ ــ ١٨٨٥) يوسف شبت وميخائيل جرجس ٠ نصف أسبوعية ٠

٣ ــ المقتطف (١٨٧٦ ــ ١٩٥٢ ــ يعقوب صروف وفارس نمر ٠ شهرية ٠

٤ ــ الفلاح (١٨٨٥) سليم حموى ٠ أسبوعية ٠

٥ ــ الصـــادق (١٨٨٦) أمين ناصيف ٠ أسبوعية ٠

٦ ــ اللطائف (١٨٨٦ ــ ١٩١٠) شاهين مكاريوس ٠ أسبوعية ،

٧ ــ المقطم (١٨٨٨ ــ ١٩٥٢) فارس نمر ٠ يومية ٠

٨ ــ النصوح (١٨٩٢) محمد توفيق ٠ أسبوعية ٠

٩ ــ النظام (١٩١٩ ــ ١٩٣٢) سيد على وعلية سيد على ٠٠ يومية ٠

١٠ ــ الأيام (١٩٢٩ ــ ١٩٣٠) حسين شفيق المصرى ٠ يومية ، ثم أسبوعية من ١٩٤١ الى ١٩٤٨ ٠

(ب) الصـــحف ذات الاهتمـام الخاص ، أى المتخصـــصة فى الماسونية :

١ ــ المجلة الماسونية (١٩٠١ ــ ١٩٠٣) يوسف لنلوفة ثم نقولا

سابا · شهرية (الاسكندرية) وقد اشارت فى احد اعدادها (اول سبتمبر ١٩٠٣ ص ١٧٢) الى جريدة ماسونية تدعى « الميزان » قالت عنها انها تصدر اسبوعيا بالعربية والايطالية ويصدرها س · ن · ولكننا لم نعثر لها على اثر فى دار الكتب المصرية · ويبدو انها صدرت فى الاسكندرية ·

٢ ــ الجريدة الماسونية (١٩٠٣ ــ ١٩١٢) نقولا سابا · نصف شهرية (الاسكندرية) · ·

٣ ــ الاخاء (١٩٠٦) رحمين فرجون · نصف شهرية ·

٤ ــ المجلة الماسونية (١٩٢٠ ــ ١٩٢٢) سيد على · شهرية ·

٥ ــ الأخبار الماسونية · بالعربية والفرنسية (١٩٢١) موسى جرونشتين واسكندر فرج والبير بزيات · شهرية · صدر منها ثلاثة اعداد (يناير ــ مارس) ·

٦ ــ الميثاق (١٩٢٤ ــ ١٩٢٥) المحفل الاكبر الوطنى المصرى · شـــهرية ·

٧ ــ حيرام (١٩٢٤) السيد على · ثلث شهرية (الاسكندرية) ·

٨ ــ الاخاء (١٩٣٠ ــ ١٩٣٢) محمد سيف النصر · أسبوعية المنصورة ·

هوامش

(١) راجع البيليوجرافيا الواردة فى ملاحق الكتاب .

(٢) Stephen Knight : The Brotherhood, the secret world of the Freemasons, London, Granada, 1983, P. 230.

(٣) The New Enc. Britanica : Micropedia, 1981, V. 4, P. 302.

(٤) Ibid., V. 9, P. 1155.

(٥) Ibid., V. 14, P. 648.

(٦) Ibid., V. 16, P. 56.

(٧) Enc. Americana, 1983, V. 18, P. 432.

(٨) يضيف المحرر بعض المعلومات التفصيلية عن دور اليهود فى تأسيس المحافل الامريكية ، ومنهم موردخاى تامبابال الذى أسس أول محفل فى رود أيلاند سنة ١٦٥٨ . ويقول ان اربعة من اليهود كانوا بين مؤسسى أول محفل بمدينة سافانا رود أيلاند ، ونال درجة البناء الأكبر سنة ١٨٠٢ . وكان معاصره سولومون بوش نائب مفتش عام الماسونية فى بنسلفانيا . وفى سنة ١٧٨١ كان

اليهود ذوى نفوذ فى محفل الكمال الأعلى فى فيلادلفيا . وقد لعب هذا المحفل دورا مهما فى أوائل تاريخ الماسونية فى أميركا . انظر :
Enc. Judaica, Jerusalem, 1971, V. 7, C. 124.

(٧) Ibid., CC. 122 — 124.

(١٠) Great Soviet Enc., V. 15, PP. 532 — 533.

(١١) Martin Bernal : Black Athena, FAB, London, 1984, PP. 174 — 76.

(١٢) Ibid., PP. 176 — 180.

(١٣) J.M. Landau : Prolegamena to a study of secret societies in Modern Egypt. Middle Eastern Studies, Vol. 1, No. 2, London 1965, P. 139.

(١٤) جرجى زيدان : تاريخ الماسونية العام ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ص ١٤٨ — ١٥٠ .

(١٥) المصدر نفسه ، ص ١٥٠ .

(١٦) المصدر نفسه ، ص ١٥١ .

(١٧) المصدر نفسه ، ص ١٥٥ .

(١٨) حنا أبو راشد : دائرة المعارف الماسونية ، مكتبة الفكر العربى ، بيروت ، ١٩٦١ ، ص ١٩٥ .

(١٩) جرجى زيدان : ص ص ١٥٧ — ١٦٠ .

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ١٦٤ .

(٢١) المصدر نفسه ، ص ص ١٦٥ — ١٦٨ .

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ص ٨ — ١٠ .

(٢٣) جرجى زيدان : تاريخ مصر الحديث ، جـ ٢ ، القاهرة ، ط ٢ ، مطبعة الهلال ، ١٩١١ ، ص ٢٢٣ .

(٢٤) راجع على سبيل المثال : المجلة الماسونية ، القاهرة ، أعداد اغسطس واكتوبر ١٩٢١ ويناير ١٩٢٢ ، ص ص على التوالى : ٢٥٢ — ٢٥٤ ، ٢٠٢ — ٢٠٣ ، ٨١ — ٨٢ . وكذلك راجع : المقتطف ، يناير ١٩٢٥ ، ص ١٠٠ .

(٢٥) Landau, Op. Cit., P. 139.

(٢٦) Ibid., 1 oc. Cit.

(٢٧) Ibid. PP. 139 — 140.

(٢٨) جرجى زيدان : تاريخ الماسونية العام ، مصدر سابق ، ص ١٦٨ .

(٢٩) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٣٠) Homa PaKdaman : Djamal El-Din Assad Abadi, dit Afghani, Paris, Maisoneuve — Larose, 1972, P. 58.

(٣١) شاهين مكاريوس : تاريخ الماسونية القديمة وآثارها ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٩٠٣ ، ص ص ١٥٧ — ١٦٠ .

(٣٢) ذكر جرجى زيدان فى كتابه السابق أن أحد أعضاء المحفل الذى أسسه بونابرت كان يدعى صموئيل جنس ، وهو رجل من الأهالى سافر الى فرنسا سنة ١٨١٤ حيث أنشأ محفلا هناك — راجع : تاريخ الماسونية العام ، ص ١٥١ .

(٣٣) Landau, Op. Cit., PP. 146 — 141.

(٣٤) Ibid., P. 175.

(٣٥) راجع دور حليم فى الماسونية فى : Ibid., PP. 148 — 151.

(٣٦) Elie Kedouri : Afghani and Abdo, London, Cass, 1966, P. 21.

(٣٧) اصغر مهدوى وايرج افشار : مجموعة أسناد ومدارك چاپ نشده درباره سيد جمال الدين مشهور به افغانى ، جامعة طهران ، ١٩٦٢ ، اللوحة ١٦ .

(٣٨) Pakdaman, Op. Cit., 1 oc. cit.

(٣٩) Ibid, 1 oc. cit.

(٤٠) Ibid., P. 59.

(٤١) مهدوى وافشار ، مصدر سابق ، ص ٢١ .

(٤٢) W.S. Blunt : Secret History of the English Occupation of Egypt, London, 1907 P. 489.

(٤٣) Ibid., 1 oc. cit.

(٤٤) لطيفة سالم (الدكتورة) : القوى الاجتماعية فى الثورة العرابية ، هيئة الكتاب ، ١٩٨١ ، ص ص ٧٦ — ٧٧ .

(٤٥) مصر : ٢٧ يوليو ١٨٧٩ ص ١ .

(٤٦) التجارة : ١٠ يوليو ١٨٧٩ ، ص ١ .

(٤٧) التجارة : ١٥ يوليو ١٨٧٩ ، ص ١ . وقد اعلن على لسان المحفل (كوكب الشرق التابع للشرق الأعظم الانجليزى) انه « لم يكلف البتة السيد جمال الدين برسالة ما . وكيف يكون ذلك وهذا السيد معروف هنا بكرامته وبغضه للنفوذ الاوربى ، مخطئا عند اذكياء مصر فى تصوراته التى توجب الضرر ولا تجلب النفع » .

(٤٨) التجارة : ٥ اغسطس ١٨٧٩ ، ص ٢ .

(٤٩) التجارة : ٢٢ اغسطس ١٨٧٩ ، ص ٢ .

(٥٠) مهدوى وافشار ، مصدر سابق ، تصوير ٣٦ . راجع الرسالة كلها محققة كما نشرناها فى مجلة الدوحة ، قطر ، يوليو ١٩٨٤ ، ص ص ٧١ — ٧٧ .

(٥١) محمد المخزومى : خاطرات السيد جمال الدين الافغانى ، بيروت ، ١٩٣١ ، ص ص ٨ — ٩ .

(٥٢) Blunt Op. Cit., P. 491.

(٥٣) نشرة الاعمال للمحفل الاكبر الوطنى المصرى ، القاهرة ، مطبعة عطايا ، ١٩٢٨ ، ص و .

(٥٤) شاهين مكاريوس: الآداب الماسونية ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٥ ، ص ص ١٩٧ — ٢٠١ ، نقلا عن : نجدة فتحى صفوة ، ويلاحظ أن صاحب الأبيات هو الشاعر حفنى ناصف .

(٥٥) أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ، جـ ١ ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٣٤ ، ص ٥٢١ .

(٥٦) سامى عزيز (الدكتور) : الصحافة المصرية فى عهد الاحتلال ، القاهرة ، دار الكاتب العربى ، ١٩٦٨ ، ص ٣١٧ .

(٥٧) كان شاهين مكاريوس من ابرز أنصار ادريس راغب . وقد وضع على صدر كتابه « تاريخ الماسونية القديمة وآثارها » اهداء لراغب جاء فيه : « الى سعادة الفاضل الاستاذ الاعظم ادريس راغب بك استاذ اعظم المحفل الاكبر الوطنى المصرى ، ورئيس اول أعظم التام الاكبر المصرى للدرجة العقد الملوكى ، وعضو شرف فى جمعية قديمى العهد الماسونية ، واستاذ اعظم الاساتذة المعلمين لولايات شمال افريقيا ، والقطب الاعظم لمشيخة الطرق المعظم للشرق الاكبر الوطنى المصرى ، ورئيس مجلس ادارة الشرق الاكبر الوطنى المصرى ، الخ » .

(٥٨) لويس عوض (الدكتور) : تاريخ الفكر المصرى الحديث من عصر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ ، الخلفية التاريخية ، جـ ٢ القاهرة ، هيئة الكتاب ، ١٩٨٣ ، ص ١٩٥ .

(٥٩) نشرة الاعمال ، مصدر سابق ، ص ١٠ .

(٦٠) المجلة الماسونية : ١ مايو ١٩٢١ ، ص ١ .

(٦١) المجلة الماسونية : ١ فبراير ١٩٢٢ ، ص ١١٧ .

(٦٢) نشرت جريدة « النظام » اليومية المتعاطفة مع الماسونية نص هذه البرقية فى ٢٩ ابريل ١٩٢٢ ، ص ٢ . وجاء فيها : « المحفل الاكبر الوطنى المصرى الذى يدين بالحرية والمساواة وبالاخاء يتشرف بأن يلتمس من

عطفكم الابوى بصفتكم الملاذ الاوحد للامة المصرية أن تشملوا اخانا سعد زغلول برحمتكم فتأمروا بانقاذه من مكان احمع الاطباء على انه يودى بصحته ويقضر بحياته . ومولانا الملك هو خير من يحافظ على أفراد المصريين عموما ، ولا سيما الذين أدوا الوطن الخدم الكبرى . والمحفل الاكبر على يقين من أن جلالة ملك مصر لا يسمح قلبه الرحيم بأن يقضى هذا الشيخ ما بقى من عمره بعيدا عن الاهل والوطن » ووقع البرقية « عبدكم الخاضع الدرس راقب الأستاذ الأعظم » .

(٦٤) نشرة الأعمال ، مصدر سابق ، ص ١٠١ .

(٦٥) المصدر نفسه ، ص ١٧ .

(٦٦) S. Moreh : Modern Arabic Poetry, Leiden, Brill, 1976, cf. 99.

(٦٧) جرجى زيدان ، مصدر سابق ، ص ١٤٢ .

(٦٨) شاهين مكاريوس : فضائل الماسونية ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٨٩٦ ، ص ١٢٠ .

(٦٩) سامى عزيز ، مصدر سابق ، ص ٢١٨ .

(٧٠) المصدر نفسه ، ص ٢٠٩ .

(٧١) المصدر نفسه ، ص ٢١٠ .

(٧٢) نشر شيخو هذه السلسلة ابتداء من العدد ١٠ السنة ١٢ من « المشرق » في اكتوبر ١٩٠٩ ، ودامت حتى سنة ١٩١١ ثم طبعها في كراسات منفصلة جمعت بعد ذلك في كتاب .

(٧٣) المجلة الماسونية : أول أغسطس ١٩٠٣ ، الاسكندرية ، ص ١٥١ .

(٧٤) المجلة الماسونية : اول يوليو ١٩٢١ ، القاهرة ، ص ٢٣١ وما بعدها .

(٧٥) المجلة الماسونية : أول نوفمبر ١٩٢٢ ، ص ١٧ وما بعدها .

(٧٦) الميثاق : ٤ سبتمبر ١٩٢٤ ، ص ص ١٥ — ١٧ .

(٧٧) نشرة الاعمال ، مصدر سابق ، ص ص ٨٠ — ٨٥ .

(٧٨) المجلة الماسونية : اغسطس ١٩٠٣ ، ص ١٥١ .

(٧٩) الجريدة الماسونية : ١٤ ابريل ١٩٠٧ ، ص ص ١ — ٢ .

(٨٠) المجلة الماسونية : مايو ١٩٢١ ، ص ٢٠٨ .

(٨١) الميثاق : ١٥ يونيو ١٩٢٤ ، ص ٧٦ .

(٨٢) نشرة الاعمال ، مصدر سابق ، ص ٩٧ .

(٨٣) المصدر نفسه ، ص ص ٨٠ — ٨٦ .

(٨٤) نجدة فتحي صفوة : الماسونية في الوطن العربي ، مركز الدراسات العربية ، لندن ، ١٩٨٠ ، ص ٣٠ .

(٨٥) نشرة الاعمال ، مصدر سابق ، ص ٤٧ .

(٨٦) المصدر نفسه ، ص ص ٨٥ — ٨٦ .

(٨٧) نجدة فتحي صفوة ، مصدر سابق ، ص ٣٦ .

(٨٨) جرجي زيدان ، مصدر سابق ، ص ص ٥٥ — ٥٧ .

(٨٩) شاهين مكاريوس : الاسرار الخفية في الجمعية الماسونية ، مطبعة التمدن ، القاهرة ، ١٩٠٠ ، ص ١٠٣ .

(٩٠) المصدر نفسه ، ص ص ٩٢ — ٩٦ .

(٩١) ادريس راغب : الدرجة الاولى ، مطبعة المقتطف ، القاهرة ، ١٨٩٦ ، ص ص ٩٨ — ١٠١ .

(٩٢) راجع نص المقال : المقتطف ، فبراير ١٩١٠ ، ص ص ١٥٧ — ١٦٢ .

(٩٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٩ .

(٩٤) المصدر نفسه ، ص ١٦١ .

(٩٥) المجلة الماسونية : اكتوبر ١٩٢١ ، ص ٢٠٦ .

(٩٦) احمد زكى أبو شادى : الشفق الباكى جـ ١ ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٩٢٦ ، ص ص ٢٠٣ – ٢٠٥ .

(٩٧) المقتطف : ابريل ١٩١٧ ، ص ٤٠٤ .

(٩٨) المقتطف : مايو ١٩٢٦ ، ص ٥٨٧ .

(٩٩) المجلة الماسونية : أو سبتمبر ١٩٠٣ ، ص ١٦٨ .

(١٠٠) الجريدة الماسونية : ١٤ نوفمبر ١٩٠٦ ، ص ص ٢ – ٣ .

(١٠١) الجريدة الماسونية : ١٦ يوليو ١٩٠٧ ، ص ص ١ – ٤ .

(١٠٢) الاخبار الماسونية : يناير – فبراير ١٩٢١ ، ص ٨ .

(١٠٣) المصدر نفسه ، ص ١٠ .

(١٠٤) المصدر نفسه ، ص ١١ .

(١٠٥) المجلة الماسونية : ٣٠ نوفمبر ١٩٠٣ ، ص ص ٢٠٢ – ٢٠٤ .

(١٠٦) السياسة الاسبوعية : ٢٤ نوفمبر ١٩٢٨ ، ص ٢٦ .

(١٠٧) المجلة الماسونية : اول اغسطس ١٩٠٣ ، ص ١٤٥ .

(١٠٨) المصدر نفسه ، ص ١٤٨ .

(١٠٩) حافظ ابراهيم : ديوان حافظ ابراهيم ، جـ ١ ، هيئة الكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ٢٦٥ .

(١١٠) المنار : ٢٦ يوليو ١٩١١ ، ص ٥٤٥ .

(١١١) المجلة الماسونية : اول مايو ١٩٢١ ، ص ١٧٩ .

(١١٢) المجلة الماسونية : اول اكتوبر ١٩٢١ ، ص ٢١٠ .

(١١٣) السياسة الاسبوعية : ٢١ يوليو ١٩٢٨ ، ص ص ٥ – ٦ .

(١١٤) السياسة الاسبوعية : ٢٨ يوليو ١٩٢٨ ، ص ٤ .

(١١٥) المجلة الماسونية : أول فبراير ١٩٢٢ ، ص ص ١١٧ — ١١٨ .

(١١٦) النظام : ١٩ ابريل ١٩٢٢ ، ص ٢ .

(١١٧) المصدر نفسه ، ص ٣ .

(١١٨) النظام : ٢٨ ابريل ١٩٢٢ ، ص ٣ .

(١١٩) النظام : ٥ مايو ١٩٢٢ ، ص ٣ .

(١٢٠) المجلة الماسونية : أول نوفمبر ١٩٢٢ ، ص ١٧ .

(١٢١) الميثاق : ١٥ مايو ١٩٢٤ ، ص ٥ .

(١٢٢) المصدر نفسه ، ص ٦ .

(١٢٣) راجع بيان المحفل الاكبر حول هذا الموضوع في المقطم : ٤ سبتمبر ١٩٢٤ ، وكذلك « الميثاق » في ١٥ يونيو ١٩٢٤ .

(١٢٤) حنا أبو راشد : مصدر سابق ، ص ص ٢٠٧ — ٢٠٨ .

(١٢٥) المصدر نفسه ، ص ٢٠٩ .

(١٢٦) المقتطف : مارس ١٩٥٠ ، ص ص ١٨٨ — ١٩٠ .

(١٢٧) حنا أبو راشد : مصدر سابق ، ص ٢٨٩ .

(١٢٨) الفن : ١٥ يونيو ١٩٥٣ ، ص ص ٦ — ٧ .

(١٢٩) الاهرام : ٢١ ابريل ١٩٦٤ ، ص ٣ .

(١٣٠) الاهرام : ١٩ ابريل ١٩٦٤ ، ص ١ .

(١٣١) الاهرام : ٢١ ابريل ١٩٦٤ ، ص ٣ .

(١٣٢) آخر ساعة : ٣ يونيو ١٩٦٤ ، ص ٢٣ .

(١٣٣) نجدة فتحي صفوة : مصدر سابق ، ص ص ٣٤ — ٣٧ .

(١٣٤) المصدر نفسه ، ص ص ٤٣ — ٤٤ .

(١٢٥) لم أستطع الحصول على معلومات حول هذا الموضوع من وزارة الشئون الاجتماعية فقد اعتذر الجميع حول تقديم أى معلومات .

(١٢٦) S. Knight, Op. Cit., P. 229.

(١٢٧) صرح الخديو عباس حلمى فى سنة ١٩٤٤ انه حين وصل من فينا سنة ١٨٩٢ لتولى الحكم بعد وفاة ابيه توفيق اتجه الى الجيش واتخذ اللباس العسكرى لاستمالة الضباط الى الحركة الوطنية ، ولكنه اكتشف انهم « دخلوا الماسونية » التى كان يرأسها السردار الانجليزى ، فتحول الى الثياب المدنى ، ولبس لباسهم . ومعنى هذا ان المحاولة الوحيدة لاستغلال الماسونية فى الحركة الوطنية خلال مرحلة استقرار الأولى لم تتجاوز النية الحسنة من جانب الخديو ـ راجع : سامى عزيز ، مصدر سابق ، ص ٢١٨ .

المحتويات

الصفحة

الصفحة

الفصل الثالث :

ملاحق :

صـــــدر فى هذه الســـلسلة

١٠ ـ الأسس التاريخية للتكامل الاقتصادى بين مصر والسودان ـ دراسة فى العلاقات الاقتصادية المصرية السودانية ١٨٢١ ـ ١٨٤٨ » .
د . نسيم مقار .
١١ ـ حول الفكرة العربية فى مصر ـ « دراسة فى تاريخ الفكر السياسى المصرى المعاصر .
د . فؤاد المرسى خاطر .
١٢ ـ صحافة الحزب الوطنى ١٩٠٧ ـ ١٩١٢ ـ « دراسة تاريخية » .
د . يواقيم رزق مرقص .
١٣ ـ الجامعة الأهلية بين النشأة والتطور .
د . سامية حسن ابراهيم .
١٤ ـ العلاقات المصرية السودانية ١٩١٠ ـ ١٩٢٤ .
د . احمد دياب .
١٥ ـ حركة الترجمة فى مصر فى القرن العشرين .
احمد عصام الدين .
١٦ ـ مصر وحركات التحرر الوطنى فى شمال افريقيا .
د . عبد الله عبد الرازق ابراهيم .
١٧ ـ رؤية فى تحديث الفكر المصرى ـ « دراسة فى فكر احمد فتحى زغلول » .
د . احمد زكريا الشلق .
١٨ ـ صناعة تاريخ مصر الحديث ـ « دراسة فى فكر عبد الرحمن الرافعى » .
د . حمادة محمود اسماعيل .
١٩ ـ الصحافة والحركة الوطنية المصرية ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ ـ من ملفات الخارجية البريطانية .
د . لطيفة محمد سالم .

٢٠ ـ الدبلوماسية المصرية وقضية فلسطين ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ٠
د ٠ عادل حسين غنيم ٠
٢١ ـ الجمعية الوطنية المصرية سنة ١٨٨٢ ـ « جمعية الانتقام » ٠
د ٠ زين العابدين شمس الدين نجم ٠
٢٢ ـ قضية الفلاح فى البرلمان المصرى ١٩٢٤ ـ ١٩٣٦ ٠
د ٠ زكريا سليمان بيومى ٠
٢٣ ـ فصول فى تاريخ تحديث المدن فى مصر ١٨٢٠ ـ ١٩١٤ ٠
د ٠ حلمى أحمد شلبى ٠
٢٤ ـ الأزهر ودوره السياسى والحضارى فى افريقيا ٠
د ٠ شوقى الجمل ٠
٢٥ ـ تطور النقل والمواصلات الداخلية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ١٨٨٢ ـ ١٩١٤ ٠
د ٠ فاطمة علم الدين ٠
٢٦ ـ جمعية مصر الفتاة ١٨٧٩ دراسة وثيقية ٠
د ٠ على شلش ٠
٢٧ ـ السودان فى البرلمان المصرى ـ ١٩٢٤ ـ ١٩٣٦ ٠
د ٠ يواقيم رزق مرقص ٠
٢٨ ـ عصر حككيان ٠
أ ٠ د / أحمد عبد الرحيم مصطفى ٠
٢٩ ـ صغار ملاك الأراضى الزراعية فى مديرية المنوفية ٠ ١٨٩١ ـ ١٩١٣ ٠
د ٠ حلمى أحمد شلبى ٠
٣٠ ـ المجالس النيابية فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى ٠
د ٠ سعيدة محمد حسنى ٠
٣١ ـ دور الطلبة فى ثورة ١٩١٩ ، ١٩١٩ ـ ١٩٢٢ ٠
د ٠ عاصم محروس عبد المطلب ٠

رقم الايداع ٢٠٩٦/١٩٩٢

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 3264 — 0

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب